MOHAMED AL-ARADI
Telegram:@mbooks90
محمد العرادي
لماذا يظن
الجندي غير
المجنون
أنه كلب؟
kalemat
CamScanner

الإهداء

إلى الصديق الشاعر شادي سامي الذي ينام الآن في العريش، ويبذل سنوات عمره في مطالعة النجوم.

التماسيح

أنا خائف أو لست خائفاً، أو أن القلق جعلني ذا طبع هائج. أخشى أن يسقط عليّ شيء من أعلى ويهشم عظام الرأس. حينما دوّى ذلك الصوت الانفجاري المكتوم انتبهت من النوم حامياً الرأس بذراعي وقلت سقط شيء، وتوهمتُ أني أسقط من السرير، وتحسست الرأس. المرأة التي بجواري صرخت صراخ من يخشى الموت. لأنها تتذكر أخاها الذي دخل الحمام في الشتاء... انفجر سخان الماء. أظن أن طنين

Telegram:@mbooks90

الانفجار ظل يزعجه في القبر. لعله لم يمت بسرعة وشعر بذوبان فروة الرأس وهو يرفس بهيجان فوق بلاط الحمام الأبيض المشع ذي الرائحة الكلورية. الأم لا تستخدم الكلوروكس في كل حين. المرأة التي تنام بجواري ليست مثل الأم. قالت مرة إنها في أيامها البعيدة سقطت من حوض السيارة، من حوض السيارة سقطت على الأسفلت وانسحج جلد مؤخرتها وانقشرت ركبتها، خافت من الدم في سروالها ولم تقل. عمها الذي أوقف السيارة شتمها ولامها لأنها لا تجلس... لماذا سقطتْ وسواها من الأولاد لم يسقطوا من الحوض على الأسفلت ولم تنقشر ركبهم. شعر بغيظ وقبض يدها، بل ضربها بقبضته. قلتُ لها إن مدرس الرياضيات الذي يمشي وفي جيب ثوبه سير ماكينة، قطعَ سير الماكينة نصفين، دس نصفه في جيب ثوبه، وإذا لم أوجد له قيمة ص يُخرج ذلك النصف. يضرب بِغِلٍّ قديم، يلوي لسانه ويضرب. وإذا أبعد الولد كفه يضربه على المؤخرة، على الظهر، الفخذ الأيسر، الساق، الرأس، لا ينسحج جلد المؤخرة لكنه يحمرّ. لست نادماً على شيء، بل خائف. قالوا إن النيل سيجف، ولن يجد سمك القرموط ماءً. حينما جاء السؤال عن بلطيم قلت لا أدري، وظننته اسم سمك من أسماك النيل التي لن تجد الماء، أما هي فقالت بغبائها بلطيم اسم مرض بالعربية الفصحى مثل الخماق الذي نسميه عنقز. الحماق مرض مُغدٍ لكنه لا يخيفني مثل البرص الذي يظهر في الكف وفوق الحاجب. لم أصب بأي مرض وراثي، إلا أن المرأة التي هي أم أبي أصابها الخرف. تقول: اطردوا عني الأولاد، وليس عندها أحد. أنا أنسى، صرت مشوشاً، ولعل القلق جعلني ذا طبع هائج. غضبتُ، أحياناً يخطر لي أن أضربها بقوة، لأنها تقول: ماذا جرى؟ ولا أريد أن أعترف. لماذا لا نشتكي للشرطة؟ ومعنى هذا الكلام أني عاجز ولا أقدر.

حينما دَوَى ذلك الصوت الانفجاري المكتوم انتبهت من النوم حامي الرأس. الصوت صدر من الحمام، لو أن المرآة سقطت لسمعنا صوتاً غير هذا، صوت تحطم زجاج. في الحمام رفٌ بلاستيكي أبيض، ليست لي به رغبة، لأن رداءة الصناعة ظاهرة فيه، لكنها اشترته لأني لن أدفع قيمة رف خشبي. ليس عندنا حوض استحمام من البلاستيك المقوى، ولا حوض استحمام حديدي ذو لون باهت، حوض الاستحمام الذي نسميه بانيو. في الحمام مرحاض إفرنجي قوي، يمكن لأي امرأة سمينة أن تجلس عليه، لكنها سوف تتعرق لأن الحمام مكتوم، ومروحة الشفاط متعطلة. لعل الذي رسمه بهذه المساحة الضئيلة قصد أن يجعله مخزناً أول الأمر، ثم جاءت زوجة مالك البيت ورأت أن تجعله حمّاماً. لما جاءت الأم قالت: لا أقدر على استخدام المرحاض العربي. أنا جلستُ على المرحاض العربي. كنت في الأيام البعيدة كلما دخلت الحمام في الليل تخيلت يداً سوداء غامضة يمكن أن تخرج من فتحة الصرف، وربما من شدة الخوف توهمت أنها تلمسني. الآن لأني صرت موظفاً ولديّ زوجه فأنا لا أخاف حتى لو رأيت غولاً كثيف الشعر في الحمام ينظر بعينيه، يخيل إليّ أني سألكمه في بطنه، أو أجلده بنصف سير ماكينة، أطوي أول السير على يدي وأشد قبضتي عليه حتى أتمكن منه. مرة أصابني الصداع الذي يكتبون عنه في كتب الطب فعصبت رأسي حتى كاد شكل عظام الجمجمة يتغير. في المرآة التي في الحمام أبدو لأول وهلة مثل مقاتل حزين، إلا أني كنت مثل مريض يريد أن ينام. منذ أيام عاصباً رأسي شاهدت فلماً، فلم ممرض، وظننت أنه سيأثر على أحلامي. المرأة التي بجواري كانت تقرأ قصة التمساح، قصة غير مكتملة كتبها دستويفسكي عن السيد إيفان ماتيفيتش الذي ابتلعه التمساح كارل وصرخت امرأته لذلك صرخة خارقة للطبيعة، لكن السيد إيفان لم يمت وطلب من داخل بطن التمساح أن يستعينوا بالشرطة. أنا أقرأ كتب كرامات الأولياء باعتبارها قصصاً عجائبية ممتازة، قرأت قصة خطف التمساح بنتَ مخيمر النقيب، قرأت أن السيد مخيمر النقيب جاء باكياً للشيخ الفرغلي يشتكي ما وقع لابنته، فقال له: اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه وناد بأعلى صوتك: يا تمساح تعال وكلم الفرغل، ففعل كما قال له، فخرج التمساح يمشي في القرية والناس يمشون إلى أن وقف التمساح بباب الشيخ، فأمر الشيخُ الحدادَ

بقلع أسنان التمساح، والتمساح صامت ينظر ولا يقول شيئاً. ولما انتهى الحداد قال الشيخ: أخرج الفتاة المسكينة من بطنك، فأخرجها وهي مثل المجنونة مما وقع لها. ثم أخذ على التمساح العهد ألا يخطف أحداً من البلد، فصار التمساح يهز ذيله مستجيباً ويبكي. لو خطف التمساح ابنتي أو ابتلعها دون أن تموت لفعلت كما طلب إيفان ماتيفيتش واستعنت بالشرطة، خطر لي أن التمساح الصلب الذي رأيته في حديقة الحيوان لن يفهم كلامي لو ناديته وقلت له: تعال نتفاوض. ولعلي لو فكرت بعض التفكير فلن أستعين بأحد؛ لأن الناس لهم نوايا سيئة ولن يصدقوا حتى لو استخدمنا الأشعة السينية.

حينما دَوَى ذلك الصوت الانفجاري المكتوم انتبهت من النوم حامي الرأس، ثم نهضت. أردت أن أغرق في خدر النعاس تحت الغطاء، لكن المرأة التي تنام جواري بغبائها قالت: لص. غضبتُ ومشيت. المشي في الظلام مزعج، وقد تتوهم رؤية خيالات سوداء تظنها شياطين. لو شربت ماءً في المطبخ ووقفت قليلاً ثم عدت وقلت لها: لم أجد شيئاً، لصدّقتْ. لكني سمعت أنيناً خافتاً من الحمام، الغسالة الأوتوماتيكية لا تئن ولكن تصدر صوت رجرجة. نور الحمام مضاء، فاتورة الكهرب مكلفة. حينما فتحت باب الحمام لمحت عيني رجلاً قصيراً، لم يكن غولاً كثيف الشعر، رأيت رجلاً حقيقياً. لانت مفاصلي وشتمته لأنه فاجأني. ركلت باب الحمام لأظهر له الغضب، واستعددت للكمه في بطنه، لأنه لص. احتمى بذراعيه، وقال: أنا خائف، ساعدني، قال إنهم يطاردونه ولم يجد أمامه طريقاً فدخل من فتحة الصرف. فتحة الصرف التي في الكرسي الإفرنجي. كذبته، وقلت: تريد أن تتلاعب بي. صرخت غاضباً بالمرأة التي جاءت ورائي، ولم أقل لها استعيني بالشرطة. لقد شعرت بالحيرة والحقد، لماذا يحاول هذا اللص سرقتنا؟ خفت أن يلاحظ ترددي، قلت له قم، وصفعته صفعة قوية، لم يخطر ببالي أني قادر على أن أصفع أحداً بهذه القوة الصلبة. ارتجت رأسه، أردت أن ألكمه لكمة صلبة في معدته ليتأكد أني لست متردداً. اقتدته إلى المخزن، رأيت أنه ضئيل البنية ورأسه أشبه بالمخروط، لكن لن أصدق بأي حال أنه دخل من فتحة الصرف، لأن مواسير الصرف ملتوية. لم يبك مثل التمساح الذي خطف ابنة مخيمر النقيب، لكنه كان خاضعاً، ويقول ساعدني. طرحته

في الغرفة وقيدت قدميه ويديه. ظننت أنني ما زلت في حلم وسوف أنتبه بعد قليل على صوت يصدر من الحمام. المرأة لم تصدق، ثم قالت بغبائها: قلت لك إنه لص. ثم قالت هذا من تأثير الأفلام الطويلة التي تشاهدها. عدت للمخزن بسرعة لأني لم أغلق الباب، وجدت الرجل القصير غير مقيد، ويجلس بتواضع. لو أن المرأة التي تنام بجواري رأتني وأنا أصفعه تلك الصفعة الصلبة التي ترج الرأس لغيرث رأيها وقالت إني غير عاجز. ثم تذكرت أن المخزن صار حماماً وجعلنا فيه مرحاضاً إفرنجياً لأن ركبة الأم ضعيفة. المخزن مظلم ورطب، كان مثل أي مخزن يمكن أن تتخيله، مزدحماً بالأغراض التالفة والمنقرضة، وضعت به المرأة ماكينة خياطة وأشرطة الفيديو. خفت أن يكون قد خبأ لي سكيناً تحت مؤخرته، وقد ينقض بها علي، ومن ثم يهجم على المرأة أو يختبئ في البيت فلا نجده إلا بمساعدة الشرطة. قلت في نفسي إنْ أخرجته من البيت فسوف أرتاح منه وأعود للنوم، لديّ غداً عمل والوقت متأخر. لكن إنْ قلت له اخرج دون أن أضربه بصلابة فسيظن أني خائف أو متردد، وسوف تقول المرأة: جبان. لذلك فكرت أن أقترب منه بسرعة وأرمي نفسي عليه أو أركله بشدة دون توقف حتى ينهار، إنْ تركت له الفرصة فسوف يخرج السكين التي تحت مؤخرته. لكنه قال بخضوع أرجوك ساعدني. تغافلت ولم أسأله عن القيد الذي فكه حتى يظن أني لم أتنبه، قلت له حسناً سوف أسامحك، لكن لا تظن أني عاجز عن دفنك هنا. قال: لست لصاً، لم أجد طريقاً ودخلت من فتحة الصرف لأنهم كانوا يجرون خلفي. من بين الأغراض المنقرضة تناولت مضرباً خشبياً، وتراجعت قليلاً خارج المخزن المظلم ليرى أنني أمسك مضرباً صلباً. طلبت منه أن يتحرك، لكي أتأكد أكان يخفي سكيناً أم لا، إنْ كان يخفي سكيناً فلن أسامحه وسوف أهشم عظام رأسه ولتفعل الشرطة ما بدا لها. للرجل القصير الذي قد أهشم عظام رأسه بشرة لامعة، وكف يد طرية، مثل كف طفل. المرأة لما رأته قالت ليس لصاً لعله ضل الطريق. قد يكون رجلاً شريفاً مطارَداً وجد في حمامنا ملجأ لكن كيف أصدق أنه دخل من فتحة الصرف التي في الحمام ومواسير الصرف ملتوية، لو أطل برأسه من فتحة الصرف وانحشر باقي جسده في مواسير الصرف الملتوية لصدقت. في الأيام البعيدة هبت علينا عاصفة صلبة، وسقط البَرَدُ على السيارات وعلى أغصان الأشجار وعلى سقوف المنازل وعلى براميل القمامة وعلى رؤوس الكلاب حتى أدماها. أغلقت أمي النوافذ

وقال أبي إن زجاج سيارته سوف يتهشم. صوت ضجيج سقوط البَرَدِ على كل شيء يجعلك مضطراً إلى رفع صوتك، مثل صوت حفل صاخب أو تشويش محطة تلفازية. في تلك العاصفة الصلبة وجد العم عاملاً آسيوياً في مدخل بيته، غضب. لم يقل العامل الآسيوي إنه ضل الطريق ولم يقل دخلت من فتحة الصرف، ولكن قال بلغة رديئة إنه خائف وأراد أن يحتمي من البَرَد، لأن البرَد أصابه في رأسه. رأى العم الدم على قميص العامل. غضب وتركه ينتظر في مدخل البيت ثم قال له اخرج. أنا قلت للذي ظننته لصاً أول الأمر: اخرج. لم يخرج، قال: إنهم ينتظرونني، أنت رجل طيب، ساعدني. فكرت الآن أنه يتلاعب بي، وضربته بقوّةٍ بالمضرب الخشبيّ الذي أمسكه بيدي فصار يئن مثل كلب أدمى البَرَدُ رأسه. مَن هؤلاء الذين يطاردونك؟ قال وهو يتلوى من صلابة الضربة: لا أدري. شعرت بسعادة لأني أوجعته، وقلت في نفسي لو كان لصاً لأخرج السكين وانقضّ علي. ظنث المرأة أنه وسيم - ولم تصرّح بذلك - لأن الإضاءة في المخزن ضعيفة وقالت نتخذه معلماً للأولاد. قلت لها سوف أدفنه في المخزن، إن البيوت كثيرة، لماذا دخل بيتي؟ هل ظنني عاجزاً عن إخراجه؟ سمع الرجل حديثنا وقال: لستُ معلماً لكن أستطيع أن أزرع الأرض.

قد تقول أيها القارئ: لم يقع أي شيء من هذا، وإني أكتب قصة عن الإسرائيليين، وإن الرجل الذي دخل حمام بيتي من فتحة الصرف استعارة طويلة عن دخول عصابات الهاغاناه الأحياء العربية في حيفا. لكنك مخطئ يا أخي، ولنفترض أنني اختلقت قصة الرجل الذي في الحمام، وأن القصة استعارة كما تقول. وسرتُ معك في هذا التخيل الذي لا أدري من أين جئتَ به، كيف تُشبّه المضرب الخشبي الصلب الذي أُمسكه بيدي بالبنادق البريطانية والفرنسية - مخلفات الحرب العالمية الأولى - التي أمسكها جنود عرب متطوعون، لم يتجاوز عددهم ٤٥٠ متطوعاً في حيفا بقيادة أمين عز الدين اللبناني المنتسب الوحيد إلى جيش الإنقاذ العربي، الذي ينوب عنه في القيادة مهندس صحة عامة فلسطيني ليس له أي خبرة عسكرية. وكيف تُشبّه رجلاً أعزل خاضعاً - صفعتُه بقوة - دخلَ حمام بيتي من فتحة الصرف بثلاثة آلاف مقاتل منتظمين في لواء كرملي عندهم عربات مصفحة ومدافع هاون عيار ٢ إنش و٣ إنش ومدافع رشاشة وبنادق وقنابل يدوية وراجمات من صناعة محلية تطلق

قذائف وزنها ٦٠ رطلاً وبراميل نفط محشوة بالمتفجرات، يدحرجونها من المناطق المرتفعة على الأحياء العربية في الأسفل. وكيف تشبّه رجلاً قصيراً دخل حمام بيتي من فتحة الصرف، ولم يُنفذ ضدي أي عملية مسلحة بعصابة مسلحة نفّذت عملية بِعور خميتس - تعني إزالة الخبز المختمر من منازل اليهود في وقفة عيد الفصح - ضد المواطنين العرب بقصد قتلهم وإجلائهم. وكيف تشبه رجلاً خائفاً يقول لي بخضوع: ساعدني، بعصابة مسلحة هاجمت أحياء العرب في حيفا صباح يوم الأربعاء من ثلاث محاور، من شمال السوق القديمة، ومن جنوب قاعة البلدية، ومن جهة جسر وادي روشميا؛ ليقطعوا الطريق على العوائل التي تفر من قذائف الهاون. ولو تجاوزنا هذه الأمور، كيف تظن بي يا أخي أني قد أختلق قصة وأجعل حماماً به مرحاض إفرنجي استعارةً عن حيفا. ليس شيء من هذا الذي فكرت به صحيحاً، ولم يخطر ببالي أي شيء عن الهاغاناه. لقد كتبتُ الذي حصل في حمام منزلي كما وقع بلا أي مبالغات. لست مثل دستويفسكي أو عبدالوهاب الشعراني، أردت أن أكتب عن الذي حدث دون مبالغات. على أي حال، لقد أشعرني هذا الهاجس - أي أن يظن القارئ أني أكتب عن الإسرائيليين - بالغضب، لذلك حينما قال الرجل: أستطيع أن أزرع الأرض، هويت عليه بالمضرب الخشبي الذي في يدي بصلابة، أردت أن أبعج بطنه وأرى الأمعاء، أصبتُ ظهره العريض بقسوة سيئة. أنّ مثل جريح وثنى جسده، أشفقت عليه وقالت المرأة: كفاية. شعرت برضى لأن المرأة رأت الضربة الصلبة إلا أني كنت محرجاً بعض الشيء، لأن الرجل الذي دخل حمام بيتي من فتحة الصرف صار ضعيفاً، يئنُّ مثل جريح ولا يتكلم، ينظر بريبة. قلت له دون أن أظهر أي حرج: لأجل هذه المرأة. قال بتردد: لست لصاً لقد كانوا يطاردونني ولم أجد طريقاً فدخلت من فتحة الصرف. مد يده إلى جيب سترته وأخرج مالاً وقال: لست لصاً. المرأة قالت في نفسها: لا يكون الرجل الوسيم لصاً وصدّقته، أنا لم أصدقه تماماً وقلت في نفسي: لعله ضل الطريق. قلت له: لن أستعين بالشرطة وسوف أدعك تذهب، وإنْ دخلت بيتي من فتحة الصرف التي في الحمام مرة أخرى فسأدفنك في الحمام، هل تفهم هذا؟ لكنه عاد وقال بخضوع: لن أخرج.

حينما حكيتُ هذه القصة للمرأة التي تنام بجواري لم تقل إنها قصة عن

الإسرائيليين. قالت: هذا من تأثير قصص التماسيح عليك. في المساء سمعت المرأة صوتاً انفجارياً مكتوماً وصرخت صراخ من يخشى الموت وقالت: عصابة الهاغاناه . توهمتُ أني أسقط من السرير، وتحسست الرأس، وقلت في نفسي: لكن حمام بيتنا ليس حيفا.

الحياة في درج موظف متمهل

حين أفاق المدعو س ذات صباح من أحلامه المزعجة، لم يجد نفسه وقد تحول في فراشه إلى حشرة ضخمة للأسف، كما حدث لغريغور سامسا. ولكنه وجد أنه محتاج النهوض من فراشه والتوجه إلى إدارة الأحوال المدنية لإنهاء إجراءات معاملة بسيطة.

حينما تعثر المدعو س أمام البوابة وتحت ملاحظة حارس الأمن الذي دخن سيجارة رطبة أخذها من موظف قسم الاتصالات، كان كل شيء في إدارة الأحوال يجري على طبيعته. كانت صالة الاستقبال مزدحمة بالرؤوس والأحذية أيضاً. وقف المدعو س منحنياً وهو يتأكد من أوراقه، ثم جلس على أطراف أصابعه ووضع حافظة الأوراق البلاستيكية على الأرض وأخذ يرتب أوراقه. اصطف كما يفعل الناس غالباً في طابور المراجعين، قال له الرجل العجوز الذي كان ينتظر أي شخص ليقول له إنه تعب من الوقوف: وقفتُ طويلاً بسبب هذا الموظف المتمهل، حرك رأسه موافقاً. قال له الرجل العجوز إن زوج ابنته موظف في دائرة الأحوال لكنه يعمل في مدينة أخرى، ولو كان يعمل هنا لأنهى كل شيء بلمح البصر. قال له المدعو س: آه.. تماماً وأدخل يده اليسرى في جيب معطفه وشعر تجاهه ببغض. لما حان دور الرجل العجوز الذي يقف أمام س طلب منه الموظف ورقة الموعد، لكنه لم يكن يعرف شيئاً عنها، وقال له الموظف إنه لا يستطيع أن يخدمه: آسف سيدي عليك حجز موعد. قال له العجوز إنه رجل مسن ولا يعرف مثل هذه الإجراءات وطلب منه أن يتساهل معه في هذا، ولما شعر باليأس قال للموظف: زوج ابنتي يعمل معكم وهو مدير لقسم الأرشيف.. ساعدني. أفهمه الموظف أن تجاوز النظام لأي سبب أمرٌ مستحيل. قدم س أوراقه للموظف وأفهمه ما يريد وراح يتابع حركة أصابع الموظف على أزرار الكيبورد. وبعد الحركة السابعة عشرة تقريباً رد الموظف على المدعو س أوراقه: عفواً سيدي، لا أستطيع أن أخدمك، يظهر لي في النظام أنك متوفى، ولا يمكن خدمة شخص متوفى؛ لأن ملفك مغلق. عقد س حاجبيه بفزع ودفع رأسه بلا شعور تجاه الموظف كمن يستفهم عن شيء غامض: أعتذر منك، لا أستطيع أن أفعل شيئاً،

وفاتك مسجلة في النظام، وأشار بإصبعه نحو خانة الوفاة في النموذج الذي يظهر أمامه. شعر المدعو س أن هذه مزحة تافهة وسوف تنتهي بسرعة: ماذا تقول؟ كيف أكون متوفى وأنا أقف أمامك الآن. هذا غير معقول. قال له: انظر، وحرّك الشاشة بما يسمح للمدعو س أن يرى تاريخ وفاته. مسح س كفيه بمعطفه: لكني لست متوفى، أنا أقف أمامك كما ترى. وقال بخيبة: لا أدري كيف لا تصدق ما تراه بعينيك، إنك تثير أعصابي، لا بد أن خطأ قد حدث. إن بيانات النظام دقيقة تماماً، وإذا أردت تعديل بياناتك فعليك التقدم لإنهاء إجراءات التعديل، وأحضر معك شهادة من القضاء، وتقريراً صحياً. أشار الموظف للسيد الذي يلي س في الدور بأن يتقدم، وقال للمدعو س: ارجع إلى قسم السجلات إذا كنت تصر على أنك غير ميت وناقش هذا الأمر معهم. تراجع س وهو يرفض في نفسه أن يكون الذي حدث أمراً حقيقياً. ثم تنبه للأصوات المتداخلة في صالة الاستقبال وأراد أن يضرب الموظف. ثم قال لنفسه: إن الذنب ذنبه؛ لأنه لم يستطع أن يقنع الموظف على الرغم من أنّ المسألة واضحة، ويقدر أي عاجز عن النطق وبأقل الكلمات أن يثبت أنني لم أمت بعد، ثم أضاف: إن كل شيء حدث بسرعة؛ لذلك لم يتمكن من توضيح تفاهة الأمر. جلس على كراسي الانتظار الحديدية، تأكد أنه لم يفقد أياً من أوراقه. قال له الرجل الذي يجلس بجواره شيئاً ما وهو يشير إلى الأرض، لكن س لم يتنبه له. وقرر بمراجعة سريعة لما حدث أن الأمر لا يستحق الذهاب إلى القضاء أو استخراج تقرير طبي، وهو قادر على أن يثبت أنه لم يمت متى ما قابل موظفاً أعلى مرتبة من هذا الموظف المخبول تماماً.

الشعرة في خد الموظف مزعجة لمن يراها، شعر المدعو س بانزعاج رهيب وأراد أن ينزعها. كان الموظف يمسك بعدسة مكبرة ينظر بها إلى مجموعة من الخطابات، يتأكد من صياغتها اللغوية. وقف س أمام المكتب ووضح باختصار الشخص المرتبك مشكلته وقال إنه لا يعرف كيف حدثت. رفع الموظف عدسته وتفحص وجه المدعو س ثم وضعها: يا لهذه الوضاعة، ألا تراني منشغلاً أم تعتقد أنه لا يوجد لدينا سوى مشكلتك. لماذا لا تنتظر حتى أطلب منك الدخول، ألا ينم تصرفك هذا عن قلة الذوق المتأصلة بك؟ لم يدر س هل أراد منه أن يجيب أم كان سؤالاً استنكارياً لكنه أجاب على أي حال: آه.. أجل. لا تتحدث حتى أنهي كلامي، يا لقلة الذوق التي يتمتع بها

الناس هذه الأيام. لديك مشكلة ها؟ اسمح لي أن أقول لك بخبرة موظف لأكثر من ثلاثين سنة إنك أنت سبب المشكلة. وقام الموظف من كرسيه: أعرف ماذا تقولون: إن هذا النظام معقد وقد بالغ في الأمر ذلك الذي وضعه، هذا لأنكم مجموعة من الخبثاء الذين يتمتعون بأكبر قدر من الغباء. أراد المدعو س أن يرد عليه هذه الإهانة وأن يوضح له أنه ليس من هؤلاء الخبثاء الذين يتمتعون بأكبر قدر من الغباء وأنه يحترم النظام، لكنه شعر برهبة أمام هذا الخطاب المنفعل: آه.. صحيح لكن ليس دائماً يا سيدي، قال هذا بصوت متقطع. ليس دائماً؟! هذا أفضل ما يمكن أن أسمعه في هذا الصباح. إذا كان كما تقول فلماذا لا تكمل طلبك وتحضر بقية المستندات اللازمة؟ ما الذي تخسره لو اتبعت النظام؟ إذا ما طلب منك أن تحضر ورقة ما أو صورة أو عقد عمل أو شهادة من أي جهة كانت لماذا لا تحضر هذه الأوراق؟ إذا طلب منك أن تقفز أو تجلس أو تضرب نفسك اللعينة بحذائك... حتى لو لم تفهم فائدة هذا الطلب فافعل وأنت مطمئن بأن النظام وُضع لمصلحة الجميع. فكر المدعو س في أنه أخطأ لأنه أدخل نفسه في مواضيع ليست له علاقة بها: لقد أحضرت كل ما طلب مني، لكن مشكلتي يا سيدي كما قلت لك إنني مسجل في النظام شخصًا متوفى وأنا كما ترى حضرتكم لست كذلك. وأراد المدعو س أن يضيف: إن هذه المشكلة حدثت بسبب أحد الموظفين لكنه خاف أن يورط نفسه في مشكلة أخرى. قال الموظف وهو يشعر أن س لم يفهم كلامه السابق: ما دمت مسجلاً في النظام متوفى فأنت بالتأكيد متوفى، وهذا هو المهم. عليك أن تفهم أننا هنا لا نتعامل إلا مع ما هو موجود في ملفك. وتابع وهو يضرب على الطاولة: المكتوب في أوراقك، وعليك أن تفعل أنت ذلك أيضاً. لا يمكننا أن نصدق كل من أراد أن يدعي شيئاً دون أن يحضر ما يثبت هذا الادعاء، وإلا أصبحت الأمور متداخلة ولا سيطرة عليها. رد المدعو س بانزعاج: لكنك تعلم حضرتكم أنني لست متوفى، ولا بد من أن خطأ حدث. يبدو أنك لا تفهم، سواء أكنت ميتاً أم كلباً مشرداً هذا غير مهم. المهم ما هو مسجل في ملفك، أنت الآن شخص ميت وإن لم تتصرف كما يتصرف الميت. وإن أردت تعديل أي شيء فعليك أن تحضر الإثباتات المصدقة بالأختام الرسمية، لا أن تقف أمام الموظفين وتدعي ما تشاء؛ لأن هذا ليس له معنى. وفي حالتك هذه عليك أن تملأ النموذج رقم 45 بخط واضح، وأن تحضر شهادة من القضاء، وتقريراً طبياً من أي

مستشفى حكومي، ولا نقبل التقارير التي تصدر من المستشفيات التجارية. وإني أحذرك إن حاولت أن تتلاعب فسيكشف أمرك. أخبرني الآن هل كلامي واضح؟ وقبل أن يرد عليه س أضاف موضحاً: لو أن شخصاً توفي هل يأتي ويقول لنا: هيه أنتم لقد توفيت البارحة وعليكم تعديل بياناتي؟ لا تجري الأمور بهذه الطريقة. بل يأتي أحد أقاربه بالأوراق المختومة بالأختام الرسمية، ثم ينتهي كل شيء بسهولة، ولا يقول أحد إن لديه مشكلة. قال المدعو س: آه.. صحيح لكن لم يأت أحد أقاربي بالأوراق التي تثبت وفاتي. رد عليه الموظف بغضب: إني أضرب لك مثالاً. هل تعرف المثال، إنه مجرد مثال. وأومأ برأسه باتجاه الباب: هيا، لا تضع وقتي، إن الأمر سهل لكنك تصعب على نفسك بعدم فهمك. لا بد من أنك تعاني في حياتك إذا كنت تسيرها على هذا النحو.

أريد هنا أن أسجل ملاحظة حول الانفعال غير المبرر لهذا الموظف الذي بدا أنه انفعل بسبب دخول س عليه قبل أن يأذن له. وفي حقيقة الأمر، وكما عرفت فيما بعد، كان هذا الموظف منشغلاً بتزوير خطاب ترقية لموظف مفصول، وربما كان هذا الموظف سكرتير تحرير في مكتبه. وقد اتفق الموظف المنفعل مع موظفين آخرين أحدهما يعمل في قسم شؤون الموظفين والآخر يعمل في قسم الشؤون المالية على عدم رفع خطاب للإدارة العامة بفصل سكرتير التحرير، والتغطية على هذا الموضوع، لتستمر الإدارة المالية في دفع مرتبات السكرتير المفصول، ومن ثم يتقاسم الثلاثة مرتبه بنسبة أكبر للموظف الذي يعمل في قسم الشؤون المالية. لذلك عندما دخل عليه المدعو س المكتب شعر بالغضب والانفعال؛ لأنه كان في تلك اللحظة يتأكد من صيغة الخطاب المزور الذي يكتبه باسم السكرتير المفصول ويطلب ترقيته إلى مرتبة أعلى، وخشي أن يرتكب خطأ - سواء في الصياغة أم في مضمون الخطاب أم في بعض الإشارات الواردة في الخطاب - ينكشف به أمرهم. على أي حال، من يهتم لماذا كان ذلك الموظف منفعلاً وقد انتهى الأمر بخروج المدعو س من المكتب خائباً، ويشعر بفزع الشخص الذي تورط بأمر غير واضح.

حالما خرج وجد شخصاً يقف أمامه قال له: تفضل معي. شعر المدعو س من الثقة الرهيبة التي أظهرها هذا الشخص أنه موظف في دائرة الأحوال يريد أن ينهي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموضوع أو يسأله عن بعض الأشياء حول الخطأ الذي حدث، وعليه ألا يقاومه. مشيا عبر ممر لم يكن هنا من قبل. تنبه س إلى أن سقف الممر لم يدهن بالأصباغ بعد. قال للرجل الذي بدا له أنه يقتاده بعد أن توقف: آه.. أريد أن أقول لك الصراحة، لست مطمئناً، إلى أين نذهب. ثم فكر أنه أخطأ عندما قرر أن يطيعه: لا أريد أن يُتخذ أي إجراء بشأن الخطأ الذي حدث. والتفت إلى الخلف وقال مؤكداً: أريد الخروج، لقد تأخرت. رد عليه الشخص الذي ظنه موظفاً بصوت رخيم وواثق: أنت خاضع لإجراء بسيط، وهو إجراء قانوني تماماً، ومنضبط بالتعاميم والخطابات الواردة من الإدارة العامة، تفضل معي. ومد يده مشيراً للمدعو س بالتقدم. تابَعا مشيهما عبر الممر حتى توقفا أمام باب خشبي تقشر أسفله بسبب الرطوبة الخانقة. قال الشخص للمدعو س: انتظر هنا ولا تتحرك. دخل إلى المكتب وأغلق الباب. سمع المدعو س بعض الكلمات التي لا تدل على شيء؛ لتداخلها. وظل واقفاً في مكانه أمام الباب، حتى لما تأخر عليه الموظف لأكثر من نصف ساعة لم يغير من وضعه، لأنه قال في نفسه: هذه المرة لن يتمكنوا مني، سوف أنفذ ما يقوله بالحرف ولن يسمع مني إلا إجابات مختصرة دقيقة. وعلى الرّغم من هذه الفكرة الانضباطية التي ربما تنجيه من كثير من المتاعب إلا أنه شعر بالتوتر أو بالحيرة. وحاول أن يتذكر هل تعرض لمثل هذا الموقف من قبل، لكنه لم يفلح في تذكر أي شيء مشابه. كان كل شيء في الممر صامتاً كما لو كان عدماً، ولم يقطع هذا العدم إلا صوت الموظف ينادي المدعو س وهو يفتح باب المكتب: أعضاء اللجنة في انتظارك. لما دخل س المكتب وجد أمامه ثلاثة موظفين متأنقين، يقعدون خلف مكتب حديدي، كل واحد منهم وضع أمامه لوحة تعريف «نائب مساعد المدير العام لإدارة السجلات، مدير مكتب مستشارية الإدارة العامة في قسم التدقيق» وهكذا، بخط صغير لا يكاد يُقرأ لأن اللوحة لم تتسع، كُتب اسم الموظف بعد الوصف الوظيفي. على أي حال من يهتم لقراءة هذا الهراء وهو في هذا المكتب البارد ذي الأرضية الإسمنتية الأشبه بزنزانة سيئة. دفع الموظف بالمدعو س حتى أوقفه أمام المكتب تماماً، كان على المكتب مجموعة من التقارير التي كتب بعضها بخط اليد والبعض الآخر كان مطبوعاً، وملف أصفر كتب عليه الاسم الرباعي للمدعو س، وكان عليه أيضاً ثلاثة أقلام زرقاء، وخرامة أوراق ومسطرة بطول 10 سم وممحاة رأسها أسود وأوراق بيضاء فارغة. وفي هذه الأثناء

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

وأنا أسرد عليكم ما على المكتب كان الموظف الذي مشى مع س قد دخل من باب خلف الموظفين الثلاثة، ولما أغلقه قال الموظف الذي يجلس في المنتصف للمدعو س: ما اسمك؟ تردد س ومسح كفيه ببعضهما ونظر إلى الاسم المكتوب على الملف حتى يتأكد أنه يقول اسمه كما هو مكتوب لديهم. ولما نطق اسمه بشكل صحيح رد عليه الموظف: جيد. وكتب شيئاً على ورقة صغيرة يحملها في يده، وبدأ يقرأ البيانات الموجودة في الملف، الرقم الوطني، الاسم، تاريخ الميلاد، مكان الميلاد إلخ، والمدعو س في كل مرة يؤكد أن البيانات صحيحة، حتى وصل إلى لون العين: بنية. رد س وهو يخشى أن يقع في خطأ آخر: لست أدري الآن بالضبط. رفع الموظف رأسه: كيف لا تدري، هاه؟ عقّب س بخضوع: آه. قصدت أني لست متأكداً. حسناً هل لك أن تخبرني لماذا لست متوفى كما هو مسجل في ملفك؟ حالما سمع س هذا السؤال تملكه اشمئزاز رهيب، وأراد في نفسه أن يركل هؤلاء الحمقى الذين لم ير في حياته أحمق منهم، ولكنه طلب من نفسه أن تكون أكثر تعقلاً. وأراد أن يبين لهم بمجموعة قليلة من الكلمات التي لا تحمل دلالات واسعة بأن الذي حدث مجرد خطأ من أحد موظفيهم. إلا أن الخوف سيطر على عقله وخشي أن يمسكوا بشيء يستخدمونه ضده: آه. إنني وبصدق لا أعرف يا سيدي. قال له الموظف: حسناً، عليك أن تعرف في المرة القادمة. فُتح الباب ودخل الموظف الذي جاء بالمدعو س إلى هذا المكتب. وأمسك بيده، وكان س يستجيب بكل خضوع، ومشيا عبر ممر طويل، وبعد أن تجاوزا كثيراً من أبواب المكاتب المغلقة توقفا عند باب مكتب في آخر الممر وطلب الموظف من س أن يدخل ويتمدد على الأرض، فعل المدعو س كما طلب منه الموظف، دخل إلى المكتب وتمدد على ظهره ومع كل حركة يمد بها ساقه أو يحرك ذراعه ينظر إلى الموظف الذي يقف بباب المكتب ويسأله: «آه. هكذا؟» والموظف يشير له بالقبول. كان المكتب خالياً إلا من عدد قليل من ملفات قديمة وأوراق متفرقة ملقاة على الأرض، وبعض الكراتين المكومة فوق بعضها. لما أغلق الموظف باب المكتب كان المدعو س مستلقياً على ظهره بتنبه وحذر كي لا يرتكب أي حماقات أخرى.

تداعيات حادث سير

فكّرت دون شعور بأي أسى في أنها خنفساء منقطة. مثل تلك الخنفساء التي سحقتها مرة على إطار النافذة، فكّرت في أنها هي أيضاً شحقت على إطار نافذة ما. كان هذا في شارع رينفيلد أمام محل الرهونات الذي خرجت منه للتو، وكانت غير متنبهة لطريقها، تعيد في رأسها بتوتر حساب ما تبقى معها من نقود. فكّرت في ذلك بعد أن صدمتها عربة يجرها حصان مصاب بالربو، إلا أنه كان في تلك اللحظة يجري بسرعة، خوفاً من سوط السائق المخمور الذي قال له: سوف أريك كيف تكون حصان سباق. فتحت عينيها على الخطوط الدقيقة المتعرجة والفجوات الصغيرة في الخشب الجانبي للعربة. ثم رأت أثر الرطوبة على حدوة الحصان. قبل أن تسقط على الأرض مغمىً عليها، لكن لم يُغمَ عليها. رأت بغير وضوح الرّجل الذي أغلق النافذة ثم أغلق النور في الطابق الثالث أعلى متجر أندرسون لبيع السيجار، وسمعت صوت تمدده على السرير. توقعت أن عليه فعل شيء قبل أن ينام، ولم تعرف ما عليه أن يفعل. تذكرت أن ابنها لم ينم منذ سنتين، لأنه ميت. ثم سألت: كيف للميت أن ينام. صححت لنفسها أن ابنها قُتل في أحداث الشغب التي أثارها العمال. فكرت لو أنه ما يزال يشتغل عاملَ تشحيم في ورشة تصليح السفن لكان حالها أفضل، ثم تذكرت أنه سرقها مرتين. وقالت لو أنه سرقها لمرة ثالثة ربما أصبحت خنفساء منقطة تشعر بالأسى. ثم قالت: لماذا فكرت في خنفساء منقطة؟ ربطت هذه الفكرة بخوف قديم، خوف لم تفهمه. إلا أنه خوف تافه، كأن تخاف أن تكون قد نسيت برطمان مربى التوت الأحمر دون إغلاق. تقوم من سريرها لتتأكد، ثم تلعن نفسها، وتقول إنها مريضة. تسمع صوت صنبور الماء في الحمام، صوت دوران صنبور الماء. رأت الرجل الذي أغلق النافذة ثم أغلق النور، فتح النافذة ولم يشعل النور. دفعها منظره إلى أن تقول إنها تموت الآن. كانت آخر مرة تلقت فيها العزاء عندما مات زوجها، لم تشعر بأي أسى أيضاً. كانت تظن أنها سوف ترتاح بعد موته، ولم تظهر لأحد هذا الظن. مر أمام رأسها جرذ رمادي كبير، توقف ونظر إليها، ثم استمر في الركض. قالت: لا يوجد في مطبخي جرذ رمادي كبير على ظهره آثار حرق. سمعت صوت احتكاك أظافر الجرذ بحجر الجرانيت الذي رصف به الطريق، وقالت: إن هذا مريع لو

استمر. ثم انقطع كل شيء وتوقعت أنها ماتت. ثم اشتعل عمود الإنارة القصير الذي كان يشتعل متقطعاً. سألت لماذا عاشت هذه الحياة، ثم طلبت من الرب ألا تموت، ولو حرمها من كل متع الدنيا. نظرت تجاه لافتة إعلانية لمتجر غلاسكي بير - هي كذا قرأت الاسم - نُصبت على الأرض، رسمت عليها ثلاث شابات يرتدين فساتين قصيرة وقبعات قماشية مستوحاة من أزياء فرنسية. ثم أعادت التفكير في معنى مُتع الدنيا، ولم تصل إلى شيء أبعد من فكرتها عن الحياة الأسرية الجيدة. وتذكرت لما نظرت مرة أخرى إلى الشابة المرسومة في يسار اللافتة الإعلانية أنها لم تضع أياً من مساحيق التجميل إلا في مرة وحيدة. طلبت من الرب الرحيم أن تعود لما كانت عليه. أحست بسائل دافئ ثقيل ينسكب على عظمة فخذها. مدت يدها ببطء، رأت اتساخاً في أطراف أصابعها، أعادت يدها، وقالت هذا من ضغطي بقوة على النقود. ثم بعد ذلك مدت يدها بتثاقل، لمست دماً، وخيوطاً رفيعة من ثوبها الذي تمزق من أثر السقوط. قالت إنها سوف تموت، وأرادت في نفسها أن تعيش ولو نصف ساعة أخرى. تذوقت طعماً غريباً في فمها، بصقت على الأرض، وامتد اللعاب من فمها إلى الأرض على شكل خيط رفيع. قالت: إنه دم نيئ، ثم تعجبت كيف يكون الدم نيئاً. سمعت ضحكة المرأة التي تدخل سينما ديلوكس الآن. شكّت في جدوى حياتها، ثم تذكرت بكره الإهانة التي تلقتها من زوجها وهو يرفع زجاجة الجعة وينسكب بعضها على قميصه الصيفي. كان يجلس في غرفة المعيشة، وهي في المطبخ تغسل بعض الأطباق، سمعته يقول لها إن وجهها يشبه خصية الحصان، ثم ضحكت من التشبيه. وقالت: إن الموت على أي حال سيئ. وأرادت في نفسها أن تعيش ولو كان لوجهها شكل خصية الحصان. لكنها لم تستطع أن تقول ذلك. تنبهت إلى تبلل ظهرها، قالت: إني أتعرق. ثم تذكرت أن مرفقها خُلع وهي في التاسعة، لقد وبختها أمها بشدة، تذكرت ذلك بوضوح كما لو كان يحدث أمامها الآن، ضربتها بقوة على كتفها الأيمن «لماذا لم تتنبهي، كدتِ أن تكسري عنقك»، ولم تفهم ما علاقة المرفق بالعنق. بكت وتعرقت يداها. مدت ساقها، حاولت أن تمد ساقها ولم تدر هل مدتها على الوضع المناسب أم لا، سرت في جسدها لسعة باردة بعد أن لمست قدمها اليمنى حديد خط الترام، وفكرت أن أحداً سوف يساعدها. جاءتها رائحة حساء لحم الضأن منبعثة من مكان قريب، قالت: اللعنة علي، لست مريضة لكني مشوشة. ثم هلعت عندما فكرت

أنها سوف تموت الآن: ماذا أفعل في القبر، محشورة أحدّق في التراب، طوال اليوم؟ وفكرت لو أنها تعرف كيف يكون الموت لكان الأمر مريحاً لها. ثم لم تعد متنبهة لرائحة حساء لحم الضأن المنبعثة من مكان قريب. رأت فم سائق العربة المخمور الذي صدمها، كان يتحرك ببطء، ينفتح وينغلق، لكنها لم تسمع أي شيء مما قال، رأت رذاذ اللعاب يتطاير وشعر شاربه يهتز وقطعة سوداء عالقة بين قواطعه الأمامية. قالت: سوف أموت على أي حال لكن أرجوك ليس الآن، ولم توجه كلامها إلى أحد معين. ثم سمعت صوتاً دون أن تميز هل كان صوت سائق العربة المخمور أو صوت الشيطان في داخلها أو صوت زوجها: إذا جاء هذا الوقت الذي تعتقدين أنه مناسب، سوف تقولين مرة أخرى ليس الآن. حين سمعت ذلك كانت ترى الشرطي ينعطف في آخر الشارع من الجهة الشمالية، انعطف ودخل شارع غوردون. لاحظت بقعة داكنة في طرف بنطاله، ظنت أنها بقعة زيت قلي. ثم أحست بخدر في ساقها مرة أخرى، وتذكرت أنها لم تفكر في الموت من قبل، واستغربت لذلك. ثم سمعت صوت احتكاك أظافر الجرذ بالحجر لكنها لم تره، وأرادت أن تعيش ولو استمرت ملقاة على الأرض تسمع احتكاك أظافر الجرذ بحجر الجرانيت. وقالت دون أن تنطق بشيء: سوف أعود إلى محل الرهونات وأخرج ولن تصدمني عربة مرة أخرى. ثم رأت فم سائق العربة المخمور وانطلق الصوت بشكل مفاجئ: من أي لعنة خرجت. وبصق عليها وحاول أن يركلها. لكن السيد السمين في محل الرهونات كان قد خرج مستعجلاً لمّا صدمت عربة مسرعة زبونته التي كان يراقبها بدافع الملل وهي تخرج. قال لها إنها لم تتأذ، وحاول أن يساعدها لتنهض.

كلب جدتي سلمى

مات هدبان منذ عشرين سنة على الأقل. وإذا ما تأملنا بجدّيّةٍ التفاصيل التي تذكرها جدتي مرة وتنساها أخرى، عندها قد نقول إن عشرين سنة مجرد مزحة أو استهتار علني بتاريخ كلب لمجرد أنه كلب، وهذه عنصرية فجة من الإنسان الذي يعتقد أن من حقه أن يتسلط على كل شيء حتى الكلاب الطيبة. تتذكر جدتي أنه توفي وعمرها أربعون سنة، وهذا يعني أنه توفي منذ ما يقارب الثلاثين سنة وهذه مدة طويلة بالنسبة لذاكرة امرأة عجوز تجاوزت السبعين عاماً لذلك لا نثق بروايتها كثيراً، خصوصاً أنها في كل مرة تغير شيئاً في القصة. بالنسبة إليك هدبان مجرد كلب، مجرد كلب يحرس الغنم. وإذا حاولت إقناعك ببعض القصص فلربما نتوصل إلى جملة أفضل مثل: مجرد كلب ذكي يحرس الغنم، على أي حال فإن الناس في العادة يميلون إلى التقليل من رمزية أي شيء لا يتصل أو يعبر عن ذواتهم، في المقابل الأشياء التي نتصوّرها جزءًا من ذواتنا بشكل أو آخر نميل إلى تمجيدها، هذا هو الأمر وإن تحايل بعضنا. هدبان بالنسبة إلى جدتي هو رجل البيت أو شيء قريب من هذا، وأرى أنها تتجاوز هذا المعنى في أحيان كثيرة، إلا أني لا أستطيع التصريح بذلك، على الأقل في حضور أبي وعمي الذي يتعامل مع الأمر بحساسية شديدة، ومثل هذا التصريح قد يُعد إهانة شخصية لجدي وللعائلة عموماً. مات جدي في وقت مبكر وترك لجدتي أبي الذي لم يكن أبي بعد وقد التحق بالعسكرية وهو شاب صغير، وانتقل للعمل في الجنوب على الحدود مع اليمن، وقد كانت الوظائف الحكومية في ذلك الوقت المجد النهائي الذي قد يبلغه الإنسان، مرتب مجزٍ ومكانة اجتماعية يستخدمها أبي حتى في أيام الفطل، كان لا يرضى أن تتعامل معه إلا بما يقتضيه التعامل مع عسكري. وعمي بشاربه الكثيف الذي يقضي معظم وقته يفركه ويلعن الناس، يسخر من كل شيء. غير مبالٍ بطريقة مزعجة. ترك جدتي وذهب للعمل في ميناء جدة كما يقول، إلا أن من يراه يتأكد أنه تورط في أعمال أحقر من ذلك. آخر أفراد العائلة هدبان، الوحيد الذي بقي عند جدتي طوال الوقت منذ أن أخذته من عمتها، وهو جرو صغير حتى الليلة الأخيرة في حياته. كان يساعد على رعي الغنم ويستقبل الضيوف بنباح خاص ويركض خلف سياراتهم التي لا تمر

بالقرب إلا نادراً، والمدهش أنه يميز الأشخاص الذين تربطهم صلة قرابة بجدتي من الآخرين، وفي الليل يحرس بيت الطين وحظيرة الأغنام ويسمع غناء جدتي. القرية مليئة بالكلاب بحكم الحاجة إلى من يساعد على رعاية الغنم، إلا أن هدبان لم يكن كلباً ذكياً يحرس الغنم، لقد كان صديق سلمى من اليوم الأول، بحكم قسوة الجو وصغر عمره، كانت تدخله البيت، وربما عندما يشتد البرد تغطيه ببعض ملابسها القديمة. تتذكر جدتي أنها بعد أن أصبح هدبان قذراً إلى درجة لا تحتمل، أخذته إلى بركة صغيرة مهجورة وأشارت له بيدها وصوتها عساه أن يغتسل من تلقاء نفسه، كانت متوترة وخائفة أن يراها أحد، وهدبان لا يفهم هذا التوتر يَهزّ ذيله برضا. بعد طول صبر أمسكته من أذنه وجرته داخل البركة، وقف ينظر إليها وينبح بصوت حاد، ضربته بتوتر على رأسه وأخذت ترفع الماء بيدها وتنثره على جسده، وبيدها الأخرى تمسح العرق عن جبهتها. تقول إنها بعد تردد بدأت تمرر يدها على ظهره باستغراب، تقول وهي تضحك: شعرت بأنه مثل ابني. لما كبر هدبان تغير الأمر وصار يقضي ليله رابضاً بين البيت والحظيرة. ينبح رداً على أصوات الذئاب البعيدة والمتقطعة ويركض خلف الشهُب، كان حتى آخر يوم في حياته مثل الذي التحق بالعسكرية حديثاً، تجده متحمساً ويأخذ الأمور بجدية، حتى عندما عمي بصره في آخر عمره صار يركض بعنف وباتجاهات متعددة، إلا أنه سرعان ما يصطدم بصخرة أو يعثر بشجيرة، تقول جدتي إنه في آخر عمره فقد عقله وصار لا يهدأ، ينبح ويركض دون تركيز أو غاية محددة، أظنه يريد إخفاء عجزه بعد أن فقَد بصره.

كانت الأمور تسير بشكل عادي أقصد بالطريقة المتوقعة لسير حياة جدة بدوية وحيدة. تهتم بأغنامها بصبرٍ، تطبخ بإضافة الأعشاب التي تعرف مذاقها بخبرتها، تنتظر كثيراً، لكنها لا تنتظر شيئاً محدداً ، تتمتم بأدعية بسيطة طالبة أن يبقى كل شيء على ما هو عليه، تخاطب الله كما لو كان صديقاً بلهجة بدوية عفوية. تنادي هدبان بصوت متحمس إذا أرادت منه بذل جهد مضاعف، ثم إذا اقتربت الشمس من المغيب وضعت له الماء تحت السدرة، يربض هدبان تحتها دائماً أو أمام الباب. تتذكر جدتي أنها في إحدى المرات بعد غروب الشمس، وكانت فلول الشفق تسمح لها وهي تقف عند الحظيرة برؤية خيال هدبان كقطعة سوداء، عادت إلى الحظيرة

لتتفقدها، تقول: وأنا عائدة سمعت جلبة كبيرة ورأيت الأغنام وهي تنقسم قسمين ومر بينهما خيال أسود ضخم، رفعت ثوبي وركضت ولم أكد أصل حتى اندفع بسرعة من داخل الحظيرة ذئب رمادي بفراء كثيف وعينين صفراوين، ممسكاً صغير ماعز بين فكيه، لم تكن المرة الأولى التي أرى فيها الذئب لكن الأمر بدا مخيفاً هذه المرة، لم أشعر بأني امرأة وحيدة كما شعرت في تلك اللحظة. مر كل شيء بسرعة تشابه سرعة هروب الذئب، لم أكن أعي بشكل واضح ولولا ذلك ما ركضت خلفه، وما كنت لأضيع كل ذلك الوقت بعد أن ابتعد وأنا أنظر في الأرض حولي أبحث عن شيء يفيد كحجرٍ، لمعت في ذهني صورة هدبان وعدت أجري وأنادي «هدبان.. هدباان افزع.. الحق الذيب» وكان قد تنبه إلى ما يحدث وجاء يركض مثيراً خلفه الغبار، أشرت بيدي إلى الاتجاه الذي ذهب إليه الذئب، وقد كنت أرى خياله صغيراً مظلماً، جرى هدبان وركضت خلفه حتى تعبت، بدأت المسافة بيني وبين هدبان تتزايد، كان عليّ أن أكون مع هدبان إلا أني لم أستطع أن أكمل، لكني صرخت به كما لو كنت أماً تنبه ابنها من شر مؤكد «عوّد يا هدبان.. يا هدباان» لكن هدبان استمر في جريه حتى اختفى وراء الليل الذي كان قد غطى المكان بظلمته. تقول جدتي: جلست أمام البيت أنتظر ربما يعود حتى غلبني النعاس ونمت في مكاني. حلمت كما لو أن هدبان شاب صغير ومتحمس يحمل بندقية قديمة، وأنا جالسة بجواره أساعده في تعبئة البارود، وكنا في مكان مرتفع إلا أنه لم يكن جبلاً وأمامنا كتلة صخرية نحتمي بها وفي أسفل هذا المكان أكوام من الحجارة أخذت شكل المتاريس، وكان يختبئ خلفها ذئاب يحملون بنادق إلا أنهم مكشوفون لنا، يبادلوننا إطلاق النار، وكنت بين كل حين وآخر أشير لهدبان إذا ظهر ذئب ظهوراً يسمح بقتله بسهولة، وهدبان لا يفوّت الفرصة، ما إن ينفجر البارود حتى يسقط الذئب، امتلأ الحلم بالدخان وصوت انفجار البارود وجثث الذئاب. انتبهت في وقت متأخر من الليل والغبار يغطيني، نفضت ثوبي الأسود وقمت أنظر إلى مربض هدبان تحت السدرة فلم أجد شيئًا. وذهبت للحظيرة ولم أجده أيضاً، تفقدت المكان لعله يكون قريباً، لكن لا أثر له، حتى بعد أن ناديت بصوت مرتفع وفي عدة جهات لم يظهر أحد، دخلت لأستريح في فراشي قلقة أفكر في الحلم وفي هدبان الذي لم يسبق له أن اختفى هكذا أو تقاتل مع ذئاب، كان يكتفي بمطاردتهم والنباح. بقيت على حالتي حتى جاء الفجر، نهضت مستعجلة

أقصد الجبل دون أي خطة، لعلي أجد هدبان. مشيت ببطء أتتبع أثر هدبان على الأرض، تتبعته حتى وصلت إلى مكان قريب من الجبل. المكان من حولي خالٍ إلا من بعض الشجيرات التي تقف بملل تحت أشعة الشمس، وجدت أثر عراك، استطعت أن أميز أثر هدبان وذئب واحد على الأقل وبعض الدم، ولم أعرف أكان ذلك دم هدبان أم صغير الماعز؟ قلبت بصري في جميع الجهات، تقدمت قليلاً ورفعت صوتي ويداي حول فمي أنادي: «هدباااان... هدباااان» وأسكن قليلاً لعلي أسمع نباحه، أنظر في كل الجهات في أعلى الجبل وفي الصخور الكبيرة أسفله، لم أكمل النداء الثالث حتى ظهر يعرج من خلف صخرة كبيرة وينبح لي بصوت هادئ، اندفعت إليه: «عساك طيب يا هدبان» وهو بعرجه يتهادى نحوي ببطء، جلست واقترب مني يهز ذيله، والخوف والتعب ظاهران عليه، مررت يدي على جسده وكلما شعرت بشيء رفعتها أتأكد أن لا دم فيها، ثم تناولت رجله التي يرفعها ولا يمشي عليها لأطمئن على إصابته. فرحت إذ لم يكن به أي جرح. أشرت له بأن نعود، إلا أنه تمنع وأمسك طرف ثوبي بفمه يسحبني نحو الصخرة التي خرج منها، أطعته حتى بلغناها، ولم أصدق ما رأيت، وجدت صغير الماعز منكمشاً على نفسه يئغو بنفَس متقطع وصوت خفيض، به بعض الجروح التي ربما يأخذ علاجها عدة أيام. حملتُ صغير الماعز وأشرتُ لهدبان بالعودة، أخذ يمشي أمامي وأنا أعاتبه طول الطريق «لا عاد تلحق الذيب يا هدبان» لما وصلت للبيت وضعت صغير الماعز داخل البيت وصببت لهدبان الماء وقد ربض بالقرب من الباب وجلست أراقبه، رأيت في عينه سعادة لم أرها من قبل.

لا تتذكر جدتي هدبان باعتباره قصة طويلة تبدأ عندما حصلت عليه من عمتها وتنتهي بموته، ولكنها تتذكر هدبان بطريقة مفككة كل حدث له تاريخه الخاص، فليس هناك معنى من سرد حياة كلب حصلَت عليه جدة وحيدة بالتفاصيل اليومية دون صناعة تاريخ له دلالة. قفز هدبان مسافة متر ونصف، حك هدبان رأسه أول مرة، هدبان لا يفضل اللحم المستوي إلى آخر تلك التفاصيل التي لا تكوّن في النهاية أي معنى، تفاصيل أولية غير مركبة. وهذا المعنى تدركه جدتي وإن لم يكن هذا التفصيل ظاهراً لها، فالإنسان لا يحكي إلا ليعبّر عن معنى، ولهذا لا أحد يعرف

ما الذي حدث في المدة التي تمر مسرعة في ذاكرة جدتي بين إنقاذ هدبان صغير الماعز وحادثة موته حتى إنها لم تذكر لأحد كيف صار هدبان أعمى. لكن الأكيد أنه لم يحدث شيء مهم ولو حدث لروت عنه الجدة قصة، أو أنّ هذه المدّة قصيرةٌ ومرّت سريعاً . وإن كان السؤال عن عَمَى هدبان مُهِمّاً فربّما كان عماهُ من ذلك العمى الذي يأتي بشكلٍ عاديّ، يشيخ الشخص ثم يعاني من أعراض في صحته، يضعف سمعه، ثم في يوم آخر بعيد يتنبه إلى أنه لا يرى جيداً، وهكذا. وهذا التدرج لم يجعل للعَمى فرصة أن يكون صادماً بحيث تكون له قصة خاصة. على أيّ هذه هي تفسيراتي، وقد يكون الأمر على غير ذلك تماماً. تقول جدتي: لما كبر هدبان أصابه العمى وصار يعتمد كلياً على الصوت وحاسة شمه الحادة. صرت أراقب هدبان بقلق وأنا أنجز أعمالي، بين حين وآخر أرفع رأسي وأنظر إليه، أخشى أن يؤذي نفسه فأنبهه بالصوت إذا اعترضه ما يمكن أن يصطدم به. على أي حال صار هدبان كئيباً ومنفعلاً، فبمجرد سماعه أي صوت بعيد يندفع بشراسة وينبح في عدة اتجاهات ويتحرك بالتفاتات سريعة، وربما استعد للقتال كما لو كان يرى أشباحاً أمامه. يبقى على حاله هذه حتى أناديه. منذ أن أصابه العمى صار لا يحرس الغنم ليلاً، فإذا جاء الليل أدخلته لينام في الداخل، وفي الصباح يرعى معي الغنم، يتبع صوت الغنم أينما ذهبت أو صوت غنائي. في إحدى الليالي الباردة ذهبت لأتأكد من الحظيرة وأن كل شيء على ما يرام. وجدت أن الغطاء الكبير الذي ثبّته على الشبك ليصد الريح الباردة قد انفك جزء منه، أما في الجهة المقابلة فقد وضعت عدة ألواح من الخشب. رفعت الجزء المنفك وربطته بشدة هذه المرة، أمسكت الغطاء وشددته بقوة أتأكد من ثباته وهدبان بجواري يقف ساكناً، لم يتحرك حتى ناديته لنعود للبيت. وضعت له الماء وضربت على الصحن ليعرف مكانه، وقفت بجوار الباب حتى شرب ثم دخلنا، كان يوماً هادئاً كبقية الأيام. اندسست في فراشي بعد أن غطيت هدبان بثوب طويل مهترئ يدفئه بعض الشيء ونمت. فزعت من منامي على صوته وهو ينبح بشدة، سمعت صوت ارتطامه بالباب، انقطع الصوت قليلاً ثم عاد ينبح بقوة أكبر ، خرجت مسرعة أجري على إثره وأناديه، كان الظلام حالكاً يغطي كل شيء، سقطت متعثرة، وأظن حينها أني جرحت نفسي، نهضت أتتبع صوت هدبان الذي صار يبتعد تدريجياً ويأتي من عدة جهات، وأنا أتخبط في ظلمة الليل لا أرى إلا

أخيلة سوداء تتحرك وتختفي بسرعة مثيرة الغبار، أتذكر جيداً أني سمعت عواء ضبعتين أو أكثر، إلا أن الأمر كان مختلطاً وبعيداً ولم أستطع تمييز ما يجري، كنت أنادي هدبان وأسمع أصواتٌ أنينٍ متقطع ونباحاً من عدة جهات متقاربة. كان الأمر كما لو كنت في وسط دوامة، لا شيء يبدو على شكله الأصيل. شيئاً فشيئاً أصبحت الأصوات تصير بعيدة والظلام يعود ساكناً دون حركة أخيلة سوداء، وصوت الريح في الأشجار يعلو بصفير واضح، ويزداد الجو برودة، ضممت يدي إلى صدري وأخذت أنادي: هدبان، لكن لم أسمع نباحًا. لم أعد للبيت حتى يئست من أي رد، وشعرت أن البرد لا يطاق. لم أنم حتى نشرَت الشمس نورها، خرجت محاولة الوصول إلى المكان الذي توهمت أني سمعت نباح هدبان فيه. وجدت أثر سقوطي والشوك الذي تعثرت به. ورأيت أثر هدبان قريبًا مني، والمكان أمامي مليء بخطوط الدم المتقطعة وآثار قتال. ميزت أثر ثلاثة ضباع على الأقل، تتبعت الدم على الأرض حتى انقطع، كانت المسافة بعيدة. عرفت أن الضباع افترست هدبان أو هذا ما كان واضحاً. تقول جدتي هذه القصة ويظهر عليها التأثر، تسكت قليلاً ثم تكمل، تمسح عينيها اللامعتين بطرف خمارها، تشير بيدها المرتعدة وتمسح على ساقها متحسرة. سألتها مازحاً وأنا أسمع منها هذه القصة للمرة الثلاثين دون مبالغة: لو عاد هدبان يا جدة؟ ردت ببطء كما لو كانت تفكر في شيء بعيد: أووه والله يا وليدي لأذبح له وأقلطه(1) مع الرجال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحضور الطاغي للسيد الكولونيل

لك الله يا رأسي المسكين

قضيت في الخدمة ثلاثة وثلاثين عاماً

لم تفز فيها بمغنم، لم تقفز فيها بفرحة

لا ولا قول جميل

لا ولا وصف رفيع

(1)

في المرة الأولى لم أر وجهه بسبب وقوفه في الصفوف المتقدمة وكنت خلفه بعدة صفوف، لكني سمعت صوته ورأيت رأسه وكتفيه يتحركان وهو يتحدث في معسكر التدريب الجنوبي. هذا هو المركز الأكبر، يضم عدداً كبيراً من المتطوعين صغار السن إضافة إلى الجند النظاميين أمثالي، قبل اندلاع المعارك على الجبهة كنا في كل صباح نصطف في طوابير طويلة لا أكاد أرى آخرها في الساحة المبللة بماء المطر والتي تطل عليها مهاجعنا. لم تكن هذه الصفوف تعتمد على ترتيب معين لأن كل من فيها هم رتب متدنية ومتطوعون جاء أكثرهم تحت التهديد أو الخوف، كانت أياماً عصيبة، صادرت الحكومة كثيراً من الحقول الزراعية من الفلاحين، أما القلة القليلة فقد جاؤوا بدافع من حماستهم الوطنية. كان كما أظن في الصف الثاني لما هدده ضابط الصف بالعقاب، ولا أعرف ما الذي فعله ليستحق العقاب، تقدم خطوة وهو منتصب ورفع صوته كمن يقسم القسم العسكري: اليهودي لا يعاقبه إلا الرب، ثم أتبعها بصوت منخفض وأمه بالطبع. انفجرت الصفوف بالضحك، حتى القادة الذين يقفون أمامنا على بعد أربعة أمتار أو خمسة من أول صف كانت كروشهم تهتز من الضحك، وأخذ بعض من في الصفوف المتأخرة يتساءلون: ماذا قال الرجل؟ فيما بعد عرفت أشياء كثيرة عن ألكسي أو اليهودي ألكسي. كان كثير من أحاديث الجنود يدور حول وضعه والمكانة التي يتمتع بها في المعسكر، حتى إن البعض كان يقسم على أنه يعمل لمصلحة الكولونيل بشكل خاص، ينقل له الأخبار، وربما كتب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض التقارير أو نقلها مشافهة في زياراته القليلة مكتب الكولونيل الذي يعلو منصة خشبية ترتفع لثلاثة أمتار. صحيح أن زياراته قليلة، لكن بالنسبة إلى مجند ذلك أمر مستحيل تماماً، لظروف لا يمكن الحديث عنها علناً الآن. جمعتني نوبات حراسة كثيرة مع ألكسي ونشأت بيننا علاقة لا أفهمها بوضوح، ربما هو الخوف أو الكره، كنت أراه مثل الشيطان الذي لا يتوقف عن إطلاق الوساوس في رأسي، وفي الوقت ذاته كنت معجباً به مقاتلاً يُعتمد عليه، لقد كان شجاعًا وجريئًا. الجميع على اختلاف رتبهم يخشون ذكر اسم الكولونيل حتى إن رافق ذلك إظهار الاحترام والتقدير. كان ألكسي يسخر منه بشكل مبالغ، يقلد مشيته بتهكم، يسخر من الطريقة التي يرفع بها بنطاله كل عصر عندما يخرج من مكتبه ليطل علينا، يطلق بعض النكات التي تشكك في شجاعة الكولونيل، كان يفعل أشياء كثيرة من المؤلم فعلها. كان ألكسي يعجب الضباط؛ لحسه الكوميدي الساخر. كان الضباط الأعلونَ رتبةً يستخدمونه للسخرية من الضباط الذين تحتهم، وفي آخر النهار يسخر ألكسي من الجميع. في إحدى المرات التي كنت معه فيها في نوبة حراسة قال لي: كما ترى، لست أقوم بأعمال خارقة، لكنكم جنود أغبياء، وضربني على خوذتي.

(2)

في الصَيف التقيته للمرّة الأولى في الخندق على الجبهة، أتذكر ذلك تماماً، عندما كان يحشر رأسه في خوذة نتنة ملوثة بدم وتراب نزعها من رأس مجند مقتول بجواره، ويقول له: لا تكن طماعاً يا بن الملعونة، فلم تعد هذه الأشياء مفيدة لك، ومقاسها مناسب لرأسي. ثم ألبسه خوذته القديمة وقال له: لا تقلق، لن أترك رأسك عارياً، هذه سوف تحميك، وضرب بيده ضربتين على الخوذة وكأنه يتأكد من ثباتها. لما رآني أنظر إليه بكآبة وخوف قال لي وهو يفتش في جيوب بنطال المقتول: نستفيد من كل شيء، حاول أن تستفيد أنت أيضاً. هكذا قال لي، سمعت ذلك بوضوح. كنت قد وصلت للتو مع مجموعة كبيرة من جنود وحدات المشاة من الكتيبة الثانية التابعة للفوج الرابع عشر تعزيزاً للجبهة الجنوبية، محمولين في عربات نقل الجنود البطيئة التي تجلب الصداع بتمايلها على الطرق الترابية. قبل أن نصل عرف الجميع أنهم اقتربوا من الجبهة، الأدخنة الرمادية ترتفع من كل

مكان، الأصوات وقذائف المدفعية لا تتوقف عن التداخل فيما بينها، فلا يكاد يتضح شيء. منذ أن توقفت العربة أخذ الضابط الميداني يصرخ بنا: اركضوا اركضوا، وكان يحرك يده مشيراً باتجاه الخندق الذي حُشرنا فيه مثل النمل. عندما انزلقت داخل الخندق بأرضيته الطينية كان الأمر يشبه الحلم، كل شيء يحدث وكأنه يقع خارج الزمن، لدرجة أن اللعاب المنبعث من أفواه الجنود بطيء وتستطيع مراقبته حتى يسقط على الأرض أو على بنطال أحدهم، كذلك الانفجارات وتطاير الأشلاء، صراخ الضباط يتردد ببطء وترى شفاههم وهي تتحرك للأعلى وتنقبض وهم يصدرون الأوامر، الشيء الوحيد الذي يتصرف على نحو سريع هو الموت. اعتدت حياة معسكر التدريب البعيد عن الجبهة، كانت التدريبات القاسية تجعلنا ننام مساءً مثل القتلى، بعد التدريبات الصباحية والتي ننهيها دون استخدام الأسلحة يكون وقت الراحة والغداء، نقضيه في الأغلب داخل مهاجعنا، غرف إسمنتية تنتشر بها رائحة كريهة، لها باب حديدي أكله الصدأ وشبابيك صغيرة موزعة بشكل غير منسق على الجدار المطل على الساحة، وتمتد الغرفة الواحدة تقريباً بطول عشرة أمتار وعرض خمسة أو أربعة أمتار وُزّعت بها مجموعة من الأسرة بأغطية خشنة بالية كل سريرين فوق بعضهما البعض، وقد ننام قليلاً لنستيقظ على صوت قرع الباب بقوة وإصرار، حتى بعدما يستيقظ الجميع لنستعد لتدريبات الرماية. في المساء نتسلل خلسة من مهاجعنا للمطاعم وحانات القرية القريبة، حيث أطباق شوربة الدجاج التي تعدها لنا السيدة مارينا في مطعمها الذي تديره هي وابنتها، وبعد ذلك نقيم الحفلة المسائية المعتادة نتناول الفودكا، نغني أغاني الريفيين ونرقص مع ممرضات المستشفى العسكري اللاتي لا يُكلّفن بمناوبة ليلية. كل هذا انتهى الآن.

(3)

يرمز له في محادثات اللاسلكي بالخندق رقم ثلاثة، أما نحن في داخله فنعرفه بـ«حفرة القيء» فهذا الخندق نتن ولا يحتمل، وكأنك في معدة حيوان، تنصب عليك أنواع الأطعمة المهروسة. عندما تدخل الحفرة وكأنك تدخل في متاهة لا نهاية لها، ممرات طويلة بالطول والعرض مدعمة بالخشب، متصلة في ما بينها بشكل معقد، وفي بعض الممرات التي تكون عريضة وأبعد عن الخط الأول للاشتباكات

تجد غرفاً للقيادة الميدانية، يكون فيها جندي اللاسلكي وضابط هو القائد المباشر لنا، ومساعداه. في أعلى الخندق أسلاك شائكة لا يمكنك تجاوزها، وأكياس الرمل، وكثير من الجثث. مهمتي كانت مراقبة الجزء الغربي من المنطقة المفتوحة أمامي والاستماع إلى أحاديث اليهودي ألكسي وتدخين التبغ الذي يسرقه ألكسي من مكاتب الضباط أو من بناطيل الجند الذين يسقطون قتلى. كان يتحدث كما لو كان قائداً عاماً بثقة ودون أن يخاف أن يوقع به أحد من رجال مخابرات الجيش، خصوصاً عندما يتحدث عن فساد الضباط، أو يسخر من الكولونيل. قال لي مرة وهو ينظف بندقيته ودون أن ينظر إليّ: أنت تخاف من نقل أحاديثي إلى القيادة فتتورط، الجميع هنا خائفون. والجميع هنا لا يدرون ما الذي يحدث؟ أو لماذا نقاتل هؤلاء الملاعين؟ لم أحمل سلاحاً من قبل، وأعنف عمل فعلته في حياتي أن شجعت زوجتي المسكينة على قتل دجاجة، بالمناسبة زوجتي تطهو الدجاج بطريقة لا تقاوم. ما زلت أتذكر أحاديثه بشكل واضح، أتذكر أنه قال بانفعال عندما سمع إشاعة عن هدنة قريبة: ليلعنهم الرب، كل هؤلاء القتلى يذهبون سدى، ذلك الوقت التعيس الذي قضيناه دون فائدة، نفكر في النجاة، ثم يتحدث القادة العظماء الذين ينامون طيلة الحرب ثم يستيقظون ويقولون: أووه نمنا كثيراً والناس يتحاربون، يجب أن ننهي هذا، فلْيلعنهِ الرب حياتهم. ثم رفع علبة حديدية بها بعض الفودكا، وهي مسروقة في الغالب وقال: كل ما يفكرون فيه أن يقول الرجل في المذياع: ها هم قادتنا العظماء يحرزون النصر العظيم. وأنتم أيها التعساء هنا تفقدون أيديكم ورؤوسكم بسبب الألغام، ما معنى أن نتقاتل عدة شهور متتالية ثم دون أن يتغير أي شيء يقولون: هدنة! الرب وحده يعلم أي شيء هذا الذي يحدث. كان القليل من الجند يستمعون إلى ألكسي بحزن وصمت.

(4)

ابنتي الطيبة إيفا...

لماذا لا تصلني رسائل منك ومن أمك المسكينة، اقرئي عليها هذه الرسالة بصوت مرتفع وأخبريها أني عائد قريباً بعدما ننتصر على هؤلاء الملاعين. جميع المجندين

هنا يستقبلون الرسائل، أرجو أن تصلني واحدة قريباً. أنا بخير، هنا تعلمت استخدام البندقية وقتلت كما أظن ثلاثة من جنود العدو وكلباً ضالاً، ما عدا ذلك يمضي وقتي في المراقبة والتفكير في شجاعة قائدنا العظيم الكولونيل بودانوف، لقد رأيته يقتل كثيراً من جنود العدو بصرخة واحدة، لقد كانوا يتساقطون بمجرد سماع صوته، كما لو كانَ عاصفة شديدة تقتلع الأشجار. عندما نفقد الأمل أو نشعر بالخوف نتذكر قائدنا العظيم الكولونيل بودانوف فتدب فينا الحياة ونقاتل بكل بسالة، لا ينبغي أن يكون للقائد الكولونيل بودانوف جنود جبناء، هذا لا يليق بشريف قدره وشجاعته؛ لذلك نحن نعلم أن الذين يموتون أو يهربون لا يستحقون أن يكونوا جنوداً تحت إمرته. لدي كثير من القصص أحكيها لك عندما أعود، وسوف تكونين في غاية الفخر بهذا القائد العظيم، فأنا مضطر هنا إلى الاختصار لضيق الوقت وقلة الورق. أرجو أن تكونا والكلب لوك بخير، وأشجار الحقل أيضاً.

الجندي أيرفائيل أليكسي

وليبارك الرب سيدنا القائد العظيم الكولونيل بودانوف

(5)

على الرّغم من أن الغارات توقفت والاشتباكات المباشرة هدأت كثيراً بحكم المفاوضات حول الهدنة أو كذلك كنا نتوقع، إلا أن قذيفة مدفعية لم تترك لألكسي الفرصة. كانت تلك آخر مرة رأيته فيها، لا أتذكر تاريخها بوضوح، لكن الثلج كان يغطي الأرض. ولأكون دقيقاً في ما أقول: لقد رأيت جثته يحملها رجلان، أحدهما يمسك بقدميه والآخر يمسك بيديه، وبعد أن لوّحا بجثته في الهواء رمياه في الشاحنة المعدة لنقل الجثث فوق كومة من الجثث الأخرى والتي تعفن بعضها. فزعت لمّا رأيتهم يلقون بجثته وشعرت وكأن كل شيء يمضي ببطء شديد، شعرت بكآبة ودوار وقلت في نفسي: ماذا لو أن ما كان يقوله ألكسي صحيح؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السأم والتسلية: طريقة كتابة قصة قصيرة مملة

في الحمّام تسليت برش الماء على صرصور ميت، كان متيبساً ومنقلباً على ظهره. من يعرف بمَ قد يتسلى الإنسان. يتذكر أنه كان يتسلى بقذف العمال الأجانب بالبالونات المملوءة بالماء، لقد وقعت غزوات وحشية في تلك السنين. بدأت التسلية لمّا سرق حميدي دزينة بالونات ملونة من دكان عباس الهندي، ثم سرقت أنا واحدة أخرى. نتحصن في سطح المسجد المقابل لدكان عباس، نملأ البالونات بالماء من مغاسل حمامات المسجد ونجمعها في الكراتين التي يتركها عباس خارج دكانه. في سطح المسجد مثل أي كتيبة مدفعية ننتظر الفرصة الممتازة للهجوم على العدو، متى خلى الشارع من أي سعودي يبدأ القذف والضحك الهستيري أيضاً. لم يُصب عباس إصابات مباشرة إلا في المرة التي خرج فيها من الدكان ليعرف أي لعنة تأتي بالقذائف.

السقف الأبيض، وقاعدة الإضاءة التي تحمل لمبة واحدة، وفتحات تسليك الكهرباء، البقعة السوداء، البقعة السوداء الأخرى، صوت مروحة التكييف الذي يتكرر بإيقاع ثابت، ماذا يفعل الآن؟ لماذا أستيقظ الآن، الساعة الواحدة ليلاً. رائحة اللعاب العالقة في غطاء الوسادة، لا توجد مكالمات فائتة، تنبه لخيط منفلت من جوربه الأبيض. رسالة على البريد الإلكتروني من بوكينج. استيقظ جائعاً. لقد سمعت دائماً نصائح حول الوجبات السريعة، لذيذ لكنه غير صحي، لذيذ وغير صحي، بربك أين هذا الطعام اللذيذ وغير الصحي. مدينة ساحلية متواضعة، طعام غير لذيذ وغير صحي أيضاً. انقطع صوت مروحة التكييف الذي يتكرر بإيقاع ثابت، الإضاءة الحمراء في مفتاح تشغيل التكييف انطفأت. الشباك مغطى بلاصق أسود، الساعة الواحدة ليلاً، عشاء غير لذيذ وغير صحي، ومشاهدة فلم أو اثنين، العودة للنوم. اصطدمت قدمه بصندوق القمامة، اصطدم صندوق القمامة بالجدار. معجون الأسنان فارغ، نظف أسنانه بالفرشاة والماء. بصق، سمعت صوت مرور أصابعه على شعر الشارب. في الحمام تسلى برش الماء على جسم صرصور بلا أرجل. وقف يراقب الماء المنسكب من السيفون. رفع غطاء غسالة الملابس، تيشيرت أخضر وسروال داخلي

CamScanner المسوحة ضوئيا بـ

قطني. من أين يأتي الجوع؟ بأصابع قدمه حمل منديلاً ووضعه في صندوق القمامة. سقطت المنشفة، رفعها بأصابع قدمه ثم بيده اليسرى علقها على المسمار في إطار الباب. لم يعجبه أن يترك باب الحمام مفتوحاً. صنبور الماء الساخن لا يعمل، مرةً في فندق شيراتون المنامة كان صنبور الماء البارد لا يعمل، طلب من عمال الفندق أن يصلحوه. لا يوجد أحد يطلب منه إصلاح الأعطال، لا عائلة ولا أصدقاء ولا عمال فندق. تناول ثوبه ليرتديه، بقعة حبر أزرق صغيرة على كم الثوب، تخسر الحكومة كثيراً من الحبر في ثياب موظفيها. إذاعة مونت كارلو انقطع بثها على الموجة المتوسطة 1233، لتظهر على الموجة نفسها إذاعة حول العالم، عندما تطلب المذيعة من المستمعين مراسلة الإذاعة إلى عنوانها في القاهرة يفكر أن يرسل إليهم نكتة عن الدين المسيحي. هنا يصل بث الإذاعة المصرية بتشويش محبب. إشارة تنبيه نقص البنزين مضاءة، للخروج إلى الشارع الرئيس يحتاج ثلاثة انعطافات إلى اليسار. الضوء الأحمر ينعكس على السيارة التي تقف بجواره. موسيقى هادئة في المذياع، آلات شرقية مع عازف قيثارة. صوت احتكاك باطن كفه بالمقود. زجاج محطم، حادثة في الساعة التاسعة، سائق مصري بسيارة كورولا موديل 1999، ومسن سعودي يقود هايلوكس موديل 1985. شجار لفظي ثم ينتهي كل شيء. «نبيع الدجاج المبرد» مكتوبة على خرقة كبيرة خلف الزجاج. دورية شرطة تمر ببطء، بطء من يقدم على أمر خطير. في المطعم راق مزاجه بالإضاءة، مثل إضاءة حانة. قال لنفسه: بريك أين البيرة، ست علب بدوايزر، عشر علب، خمس وثلاثون علبة، مئة علبة، أراهن على أن العالم لن يصمد أمام عشر علب، عشر علب ويصير هلاماً. ولن يكون هناك عمل في الغد. قال للعامل الذي له رأس يشبه كرة البولينغ: بيتزا صغيرة. رأس سوداء ومدورة ودون شعر، مصقولة بدقة. إنها كرة بولينغ حقيقية. رد عليه النقود، خمسة وثلاثون ريالاً. رائحة البلاستيك الساخن غريبة، في المرآة الأمامية تظهر علبة مناديل خلف مسندة الرأس في المقعد الخلفي. لا توجد أي سيارة أخرى في الشارع. ماذا يفعل الناس الآن؟ ماذا تظن يا أبله، ينامون بالطبع. قِطّ يتمدد، مشى بمسار مقوس حتى لا يفزعه. تنبه إلى أنه نسي أن يقفل باب الشقة، ماذا لو أن لصاً حاول سرقتي؟ يا له من لص خائب الحظ، بريك ماذا سوف يجد، أتظن شقتك المحترمة منجم ذهب؟ أغلق الباب من الداخل بالمفتاح هذه المرة. لو كنتُ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طياراً حربياً، كم هذا ممتع، الحرية والقوة. وهل سوف تتسلى بقتل الناس بطائرتك المحترمة؟ بحسب من يكون هؤلاء الناس. وتدارك بتأمل بهيج: وبحسب مردود هذه التسلية على مزاجي ربما لا تعجبني. لو كنت طياراً حربياً لما اضطررت للاستيقاظ في الساعة الواحدة. تذكر الآن أن أمه كانت تغلق باب المخزن حتى لا يسرق منها سلك تنظيف الأواني. كانوا في تلك السنين يعجزون عن شراء الألعاب النارية، لذلك كانوا يسرقون من منازلهم سلك تنظيف الأواني، يشعلون طرفه بقداحة ويدورون به مثل راقص صوفي مبتهجين بالشرار الذي يتطاير. لقد كانت تعجبني هذه التسلية كثيراً. صوت مروحة جهاز التكييف يرتفع مجدداً. وزر التشغيل في اللابتوب يضيء بضوء أخضر خافت. فتح مجلد التنزيلات، فتح مجلد «Into The Wild 2007» أخرج علبة البيتزا البلاستيكية، ووضعها على الكيس. وضع جواله على الشاحن، وقرب منفضة السجائر وجلب علبة كولا باردة من الثلاجة. أبقى من البيتزا قطعتين كاملتين، والأطراف اليابسة لكل القطع التي أكلها. كانت إضاءة شاشة اللابتوب تنعكس على وجهه وعلى الجدار الأبيض، تنقطع وتعود. المزيد من التبغ، المزيد من الكولا الباردة، المزيد من وضعيات الجلوس المختلفة، والمزيد من انعكاس الإضاءة. شعر بالبرد والنعاس في نهاية الفلم الثاني، قال: يجب أن أنام. أعجبه كل شيء في الفلم الأول، وتمنى لو أنه يقدر على تجربة مثل تلك الوحدة. أطبق شاشة اللابتوب دون أن يغلقه. أزاح بقدمه علبتي كولا وكيس بلاستيك. السقف الرمادي، وقاعدة الإضاءة التي تحمل لمبة واحدة مطفأة، وفتحات تسليك الكهرباء، البقعة السوداء، البقعة السوداء الأخرى، صوت مروحة التكييف الذي يتكرر بإيقاع ثابت. أعجبه ملمس الوسادة البارد، وقال إنه سعيد، لأنه لم يشعر بمرور الوقت. أزعجته إضاءة الجوال، انقلب على بطنه وعدل بيده اليسرى سرواله وشعر بخدر البرودة يجتاح كل شيء.

في أزمنة بعيدة كانت الحياة تأتي بالتسلية من كل جهة. كل شيء بقصد التسلية والضحك، تسلية متواضعة لكنها ساحرة ولا نهائية. أما الآن فعليك أن تحفر في الصخر. كنتَ غير مدرك هذا الجحيم الذي ثقبل عليه. تتسلى وتضحك، لم يكن معك المال الذي يكفي لأي تسلية مهما كانت حقيرة، في رمضان تسرقون لغدائكم علب

التونة وجبنة التشدر المطبوخة. بربك أيها الملعون ما الممتع في أكل تونة رديئة من إنتاج شركة محلية، وجبنة تشدر مطبوخة في مصلى النساء؟ لا أدري، لكن ليست المتعة في الأكل ذاته بالطبع، بل في جرأة تلك الوجبة. كان لهذه الوجبة المسروقة سحر خالص لا يُقاوَم ولا يُنسى. ما زال طعم التشدر في فمي وإلى الأبد، وحرك يده مشيراً إلى لذة عميقة في مكان ما داخله. ما أتفه متعك أيها الوضيع. كل شيء قد يكون موضوعاً للتسلية، ليس الأكل وحده. كان العمال الأجانب والصبية البله هما الموضوعان المفضلان للتسلية. نرميهم بالحجارة أو نسقطهم من على دراجاتهم الهوائية. كانت رؤيتهم وهم يفرون أو يسقطون مسلية للغاية. أراهن على أنك سوف تحب ذلك. هل كنت تستمتع برؤية قوتك يا بن الملعونة؟ لا أدري، لم أكن أفكر بهذه الطريقة، كنا نريد أن نتسلى ونضحك. كنا نسخر من الصبية البله، نتنافس في إطلاق التعليقات الساخرة عليهم. لقد جربنا عليهم كثيراً من الأمور المضحكة. رش التراب الناعم في أعينهم، خلع سراويلهم بخفة، حتى إضرام النار في شعورهم. أتذكر كيف وضعت في ظهيرة مملة العدسة المكبرة على رأس عياش الولد المصاب بمتلازمة داون - لم نكن نفهم حينها طبيعة مرضه - حركت العدسة لأضبط تركيز ضوء الشمس حتى بدأ الدخان بالتصاعد من رأسه البغيض، لم أستطع أن أكمل، لقد غلبني ضحك هستيري وأنا أشم رائحة الشعر المحروق. يا لكم من أبناء كلاب. لم نسأل قطّ عن أخلاقية ما نقوم به. أظن أننا لن نرفض قتل أخرق ما خنقاً أو ضرباً بالأحذية أو بأي طريقة تجلب الضحك. بربك أليست حياة بهيجة؟

لا أحب شمس الساعة التاسعة. سلم على سكرتير المدير، قال له: لقد حلمت بك، لقد كان لك رأس حمار وحشي. وأراد أن يعلق على رائحة التبغ لكنه لم يفعل. بالقلم الأزرق كتب اسمه وساعة الحضور «السابعة والنصف» شعر بضيق وهو يسمع صوت حركة رأس القلم على ورق دفتر التوقيع. قال: كل شيء له صوت لكن من يلاحظ. رد عليه سكرتير المدير معلقاً على حلمه بكلام بذيء عن قدرة الحمار الوحشي الجنسية. كانت يداه تتحركان بانفعال. والأوراق على المكتب تحركت بدفع بطنه التي كانت تلامس طرف الأوراق. قلب ورقة التقويم وهو يضحك. قال له: لقد قلتُ لك، رأس حمار وحشي وليس كامل جسمه. من مكتب سكرتير المدير وحتى مكتبه يمر بعدد

لا نهائي من الروائح المتداخلة، رائحة المنظفات، الرائحة النسائية لعطور الموظفات، رائحة فم المراسل الذي حيّاه من بعيد، الرائحة المنبعثة من جهاز التكييف، الرائحة المفضوحة لساندويتشات الفلافل، رائحة الأحذية الجلدية، رائحة الحبر الأزرق الجاف، رائحة شمع الأذن، رائحة ورق الفواتير، رائحة التبغ مرة أخرى، حتى يصل إلى رائحة باب مكتبه. اعتاد شرب الشاي بأقل كمية من سكر. رسالة على الفيس بوك في صندوق المحادثة «تمت إزالة هذه الرسالة بشكل مؤقت لأن حساب المرسل يحتاج إلى التحقق». المزيد من الإعلانات في شاشة التلفاز أمامه. تبادل الحديث المعتاد مع رئيس القسم، يُذكرك ببعض التعاميم الإدارية. لاحظ تقشراً في صبغة خرامة الأوراق. أغلق صفحة الفيس بوك. قال للعامل الذي أحضر له الشاي: منذ آلاف السنين لم تتعلم. نظر العامل إلى كوب الشاي، وحرك رأسه بقبول أبله. قال لنفسه وهو يتذكر شيئاً قديماً: ماذا كنت سأفعل بكل ساعات العمل المملة دون الإنترنت؟ تقشر البطاطس أو تنظف أنفك أو تنام مجدداً، رد وهو يحس حرارة الشاي في مرينه: هل تسخر مني؟ نعم أسخر من حضرتك المحترمة، بربك ماذا سوف تفعل بكل ساعات حياتك المملة والبائسة والتافهة والتعيسة دون الإنترنت، ها؟! لم أفكر في هذا الوضع، لكن بالتأكيد سوف أخترع تسلية ما. يسعدني أن أخبرك أنك لن تجد شيئا سوى الكلام، الجلوس مع أغبياء مخوزَقين، النظر في وجوه بعضكم، عرق يتصبب، تكرار القصص الخرافية والواقعية كل مرة بتفاصيل جديدة، تمسح العرق عن جبهتك وتسأل عن الطقس، النساء، الأخبار السياسية، مشاجرة لم تعرف سببها، مباريات كرة القدم، بشار الأسد، تسجيل فيديو لراقصة مصرية، عملية إرهابية جديدة، ارتفاع أسعار السيارات، إلخ.. إلخ.. إلخ من هذا الهراء المحترم، وتسمع إجابات لا نهائية وبتفاصيل مختلفة ومتناقضة. وفي أفضل لياليك ستصادفك «مية بنات» وأنت تلعب البالوت. هل تريد أن تقضي حياتك في الاستراحة تشاهد التلفاز، تتكلم، تدخن، تأكل، تلعب البالوت، تذهب للحمام؟ لا أدري، لم أفكر في هذا الأمر من قبل. على أي حال مهما كان الوضع سوف نخترع تسلية ما. تسلية ما إذاً؟ انظر إلى نفسك يا حضرة المحترم، لا تفعل شيئاً في حياتك البهيجة والممتعة سوى أنك تأكل وتشاهد الأفلام، وتنام. حسناً، كما قلت لك مهما كان الوضع سوف نخترع تسلية ما، تسلية دون الإنترنت. أنت ابن كلب حقيقي.

لا أحب شمس الساعة الثانية عشرة، لا أحب الشمس مطلقاً. من يحب أن يأكل طعاماً غير لذيذ وغير صحي في الظهيرة؟ عندما خرج من العمل كانت الشمس في السماء والرطوبة في كل مكان. شعر بثقل الهواء الرطب، الهواء الرطب والمتعفن. لماذا أبقى في المكتب. ماذا عن وجبة غداء غير لذيذة وغير صحية، لكنه أراد أن ينام أيضاً. لولا النوم لشنقت نفسي. دار المفتاح في قفل باب الشقة بسهولة. تنبه إلى خيط أحمر منفلت من الشماغ، عاد صوت مروحة التكييف الذي يتكرر بإيقاع ثابت. الإشارة الحمراء في مفتاح تشغيل جهاز التكييف تضيء. تمدد برضى عميق عن فكرة الانسحاب من العمل قبل الوقت المحدد لنهاية العمل. مر في أذنه صوت حركة رأس القلم على ورقة دفتر التوقيع الأخضر. كانت إضاءة الجوال تنعكس على وجهه، أحس بهواء جهاز التكييف يغمره. ماذا يفعل إذا استيقظ، لو أنه يستطيع أن ينام أسبوعاً كاملاً فلن يتردد. السقف الأبيض، فكّر في وجوده دون ساعات متواصلة من مشاهدة اليوتيوب، دون مراسلات تافهة ومهمة على الجوال، دون تويتر، فيس بوك، ساوند كلاود، دون تحميل المزيد من الأفلام، ضرب سيجارته بطرف المنفضة، ولا نقطة إنترنت. قال الشخص النائم ببطء: سوف يصير الوجود مملاً، وتحمس لفكرة التخلص من ملايين الجيجابايتات من التفاهات. السقف الأبيض يختفي، أعجبه ملمس الغطاء القطني. ممل لكنه خفيف، ممل لكن خفته تملؤنا بالسعادة، بربك أين هذا الوجود الممل غير الثقيل يا بن الكلب الحقيقي.

السقف الأبيض، وقاعدة الإضاءة التي تحمل لمبة واحدة، وفتحات تسليك الكهرباء، البقعة السوداء، البقعة السوداء الأخرى، صوت مروحة جهاز التكييف الذي يتكرر بإيقاع ثابت، ماذا يفعل الآن؟ لماذا استيقظ الآن، الساعة التاسعة ليلاً. شعر بالتواء خفيف في الرقبة، امتلاء المثانة يزعجه. إضاءة شاشة الجوال عالية، الساعة التاسعة وثلاث عشرة دقيقة. ثلاث رسائل على الواتساب. في المرآة أعلى حوض المغسلة السيراميك رأى وجهاً هزيلاً، شرب قليلاً من ماء الصنبور، وغسل وجهه. فكر في القذارات المخاطية العالقة في داخل مجرى الماء. في الحمام لم يجد صرصوراً ميتاً. انزلقت قدمه اليسرى واصطدمت بالمرحاض، رفع قدمه اليسرى وضغط عليها بيده. غسل يديه بالماء وتكاسل عن تنظيف أسنانه. فتح التلفاز، مذيعة تتحدث

بسرعة. أشعل سيجارة، كانت آخر واحدة في علبة الدخان. لم يكن جائعًا. رمى علبة الدخان أمامه. مسح بإبهام يده اليمنى شاشة الجوال. ضغط على قدمه اليسرى ليخفف الألم. في التلفاز مباراة من الدوري الإيطالي، لم يعرف هل كانت تبث مباشرة أم أنها مسجلة. عدل جلسته. أعد كوب شاي قليل السكر، لكنه لم يجد النعناع. مذيع مصري يغالبه النعاس. علبة دخان جديدة، أشعل سيجارة أخرى. فكر في أن نكهة الدخان تكون ممتازة مع كوب الشاي الجيد. أزعجه ضعف استجابة ريموت التحكم، ضربه بالأرض. انفلت غطاء البطاريات. يئس من عدد القنوات اللانهائي، كتم صوت التلفاز على برنامج من التسعينيات يتحدث فيه شخص بلغة مدبلجة عن الألعاب الأولمبية. زر التشغيل في اللابتوب يضيء بضوء أخضر خافت. مسح منتصف شاشة اللابتوب بإبهام يده اليمنى. في أعلى المتصفح كانت علامة اليوتيوب الحمراء واضحة، الصفحة الرئيسية. عدد لا نهائي آخر من تسجيلات الفيديو. بحث عن أغنية لأصيل هميم، بعد الدقيقة الأولى لاحظ فيديو على يسار الصفحة لآمال ماهر تؤدي أغنية لمحمد عبده. أعجبه وضوح صوت الإيقاع. تمنى لو أنه في البحرين الآن يستمع إلى هذه الأغنية، قال لنفسه: لقد سمعت أغاني غبية ومزعجة في الحانات التي ذهبت إليها. أريد طاولة في الجزء المظلم من الحانة، اتصال جيد بالإنترنت، ودخان، والمزيد من البيرة، وحينما أجوع أريد قطعة ستيك كبيرة لا تنتهي، مع البطاطس المشوية. شعر بالجوع وقام ليعد لنفسه ساندويتش الجبنة السائلة، لكنه لم يجد خبزاً. لعن، وأخذ كأس الجبنة ليأكلها بالملعقة. شغّل جهاز التكييف، وأراد أن يشاهد شيئاً قصيراً ومسلياً على اليوتيوب. لكن ما هو المسلي يا بن الكلب الحقيقي؟ شاهد عدة مقاطع لعروض كوميدية لم تكن مضحكة لكنها ساعدت على مرور الوقت. عندما تأكل الجبنة السائلة بالملعقة يكون طعمها ثقيلاً. شاهد مقطع فيديو غريباً لرجل يتكلم مع الشيطان، ثم مقطع فيديو لصبية سود يتعاركون في حي شعبي بجدة. رسالة تنبيهية على شاشة الجوال عن حركة البيانات. انزعج قليلاً من طعم الجبنة السائلة. فكر في كوب شاي آخر. في باب الثلاجة وجد حبة شوكولا ماركة reese's مغلفة بقصدير، شعر أنه قام بعمل حكيم حينما تركها في المرة الأولى. ابتسم، وفكر في خطيئة الذين يأكلون الشوكولا لسد جوعهم، وراح يأكلها بتلذذ. اتصل بصديق طفولته الذي لم يتصل به منذ مدة، أراد أن يسأله عن فرصة

قضاء عطلة نهاية الأسبوع في البحرين؟ لكنه لم يرد. لعن صديق طفولته وكل الذين يعملون في الشرقية. تمدد وقرّب اللابتوب منه. فتح مجلد الأفلام، أعداد لا نهائية من الأفلام، من الأفلام الهوليودية التجارية وحتى الأفلام الأوروبية المستقلة. فكر في مشاهدة فلم عن الحرب العالمية الثانية، أو يعيد مشاهدة فلمه المحبب mary and max، لكنه تراجع عن كل هذا وبدأ مشاهدة مسلسل Peaky Blinders بعد أن تذكر التوصية المحفزة التي قرأها عن هذا المسلسل. دون عشاء هذه المرة شاهد ثلاث حلقات متتابعة من الموسم الأول، كانت إضاءة شاشة اللابتوب تنعكس على وجهه وعلى الجدار الأبيض، تنقطع وتعود. المزيد من التبغ، المزيد من الكولا الباردة، المزيد من وضعيات الجلوس المختلفة، والمزيد من انعكاس الإضاءة. شعر في تلك اللحظة بتخفف من كل شيء، موجة هادرة من الطمأنينة تغمره. قام ليتبول، في الحمام استغرب كيف يجعله هذا الاستغراق في المشاهدة بهذا المزاج الممتاز. كان مثل من أدرك معنى لوجوده. على الرغم من عدم إدراكه أي شيء واضح. لم يشعر بالجوع، ولا نقطة جوع واحدة، أراد أن يكمل المشاهدة إلى ما لا نهاية. المزيد من المشاهدة بربك. شاهد الحلقة الرابعة، ضغط بإبهامه وسبابته على عينيه، الحلقة الخامسة أيضاً. لقد تأخر الوقت. قال في نفسه: أكمل مشاهدة الحلقة السادسة وأنام. أكثرت من شرب الكولا، انزعج من حاجته إلى التبول مرة أخرى. في الحمام قال له وهو يتبول واقفاً: هل تعرف يا بن الكلب أنك تافه؟ تافه من الدرجة الأولى. لا تفكر إلا في التفاهات التي تشبهك. أنت فارغ إلا من الفضلات التي في أمعائك. ماذا تريدني أن أفعل؟ هذا هو الوضع على أي حال. ماذا تفعل؟ اخرج واقتل أحداً ما، ألن يسليك هذا؟ لا، أريد أن أنام الآن. لما خرج من الحمام كان يحس بصداع وألم في عينيه، من كل قلبه أراد أن ينام نوماً أبدياً، تمدد بخشوع وهو يفكر في رحلة أخيرة للبحرين قبل أن ينام هذا النوم الأبدي. السقف الرمادي، وقاعدة الإضاءة التي تحمل لمبة واحدة مطفأة، وفتحات تسليك الكهرباء، البقعة السوداء، البقعة السوداء الأخرى، صوت مروحة التكييف الذي يتكرر بإيقاع ثابت.

كوابيس صحفي أراد كتابة قصة قصيرة

عن معركة المزرعة الصينية

في تلك الليلة التي ترك فيها نافذة الغرفة مفتوحة، في تلك الليلة التي كان فيها الهواء الصيفي يحرك الستارة، في تلك الليلة تحديداً حلم حلماً غريباً، وليست الغرابة في مضمون الحلم، كلا.. كلا. لكن الغرابة في أن الحلم يسبب له الكآبة على الرغم من أنه لا يتذكره بوضوح حينما يفيق. في تلك الليلة حلم بنفسه جالساً داخل خندق على الجبهة شرق القناة بعد عبور خط بارليف، كان يرتدي زياً عسكرياً متواضعاً ويتقلّد بندقية قديمة، يجلس بجواره مجند ليست لجسمه كتلة واضحة. كان المجند يسأل كثيراً ويدخن، ويستمع بمذياع خشبي صغير لإذاعة الاحتلال الإسرائيلي.

قال المجند: أنت ستموت أيضاً، لكن ليس في فراشك بل في معارك المزرعة الصينية. دخن سيجارة كاملة بصمت ثم قال وهو يشير إلى كتفه: سوف يصيبك ضابط من كتيبة المظلية بنيرانه، ربما كان اسمه شاؤول، وقلد صوت اندفاع الطلقات.

قال له وهو غير مصدق: لا يهم.

أخرج المجند من محفظته صورة فوتوغرافية لفتاة خجولة تقف في حقل برتقال: هذه ابنتي حبيبة، سوف تتزوجها إن أردت، وضحك.

أعادها إليه بصمت.

قال المجند: أنا لا أريد الحرب، لكن ماذا نفعل وهؤلاء الأمريكان يحتلون أرضنا.

قال له: ليسوا أمريكيين.

قال المجند بغضب: لا يهم، أنا لا أخشاهم. ومد يده وهو يرفع أربعة أصابع: لقد سحقنا لهم ثلاثة ألوية مدرعة ولواء مشاة. لقد أسقطنا كل طائراتهم. صمت وبعد وقت قال: لو سارت الأمور على هذا النحو لكنا انتصرنا يا أخي. ثم صمت طويلاً.

قال له: هل تأكل؟

رد المجند: لا. أريد أن أتبول، ثم أضاف منفعلاً: أنت تحلم الآن وأنا هنا أقاتل الأمريكان يا أخي.

حينما أفيق في الساعة الثامنة أو السابعة من حلم مزعج - ولا أدري تحديداً ما المزعج فيه - أشعر بالكآبة، ليس لأنه حلم مزعج، لكن لأني أشعر بالمسؤولية تجاه شيء ما لا أدري ما هو. دارت في نفسي وأنا أعتدل لأجلس على حافة السرير رغبة العودة للنوم. كانت المثانة تزعجني، قمت لأتبول. وفكرت في أن المثانة منبه جيد. كان أبي جالساً على الكنبة يتابع التلفاز بتركيز، ثرثرة عن الوضع الاقتصادي. من المطبخ انبعث صوت الطاحونة الكهربائية. لما عدت إلى سريري مددت يدي إلى علبة السجائر، أردت أن أدخن سيجارة واحدة ثم أكمل نومي، لكن الولاعة لم تعمل. قمت لموقد الغاز في المطبخ، الزرقة في نار الموقد مريحة، وقفت قليلاً أراقبها بصمت وأدخن. قالت أمي إني أزعجها بهذا الدخان، ثم طلبت مني أن أغسل وجهي وأستعد للأكل وأن أذهب لأدخن في البلكونة. أبي من مكانه شاركنا بصوت جهوري وقال لأمي إن ابنك هذا لا يفعل شيئاً في حياته سوى النوم. أطفأت نار الموقد وعدت إلى السرير. في شاشة الجوال اقتربت الساعة من الثامنة. لم أجد منفضة السجائر بالقرب، فأطفأت السيجارة بحافة السرير الخشبية ورميت العقب خلف الكومودينو. تمددت وأغلقت عيني، قلقت قليلاً من الحلم الذي لا أتذكره بوضوح، لكن أتذكره بشكل عام. ورجوت في نفسي ألا أرى أي حلم. يمر وقت النوم دون إدراك، أو على الأقل شاشة سوداء ليس لها معنى.

لقد رأى حلماً غريباً، في ليلة باردة ومطيرة داخل خندق في الجبهة على خط بارليف، رأى نفسه مرتدياً زياً عسكرياً، ويجلس على الأرض، بجواره السيد الرئيس أنور السادات، ينظر إلى خريطة ميدانية مدها أمامه الفريق سعد الدين الشاذلي. كان السيد الرئيس يرتدي بدلة أنيقة، ويضع على رأسه جاكيتاً عسكرياً يتقي به المطر الغزير. كان الشاذلي منفعلاً جداً، ويتحدث بصوت مرتفع حتى يسمعه السيد الرئيس؛ لأن صوت المدفعية المتقطع كان يصم الآذان. أشار الشاذلي على الخريطة وهو

يتكلم بغضب: أنت طلبت تطوير الهجوم. والآن انظر ماذا حدث. رد السيد الرئيس أنور السادات مندهشاً من جرأة الشاذلي: أنا اديتك أمر وأنت لازم تنفذ، لأن أنت مش بتفهم سياسة. إحنا مش عايزين نموّت الإسرائيليين، احنا عايزين موقف كويس على الأرض عشان لما نتفاوض معاهم نتفاوض من مكان قوة يا أستاذ. سمع الشاذلي وهو يقول كلاماً كثيراً عن تحريك بعض الألوية. إلا أن السادات سحب الخريطة الملطخة بالوحل وقال: مافيش حد ينسحب، ولا بندقية وحدة. ولاّ هرميك في السجن . كان كل شيء واضحاً في الحلم كما لو كانت صورة تلفزيونية، صواريخ سام التي تطارد الطائرات في السماء المظلمة وأضواء المدفعية المبهرة، ناقلة الجند التي تطارد المجندين وتدهسهم، لكن لاحقاً حينما يستيقظ سوف ينسى، وتبقى صورة ضبابية للسادات غير واضحة، لا يتذكر هل قال كلاماً عن النصر أو كلاماً عن المدفعية أو محاسبة الضباط، أو شيء نحو هذا. لكنه على أي حال، حينما يفيق ويدخن سيجارته الأولى سوف يشعر بالكآبة.

الحلم الوحيد الذي راود الضابط الذي خدم في لواء حاييم في قوات جيش الاحتلال الإسرائيلي: راود الضابط الذي ربما كان اسمه شاؤول، والذي كان يتأتئ في طفولته، والذي تعرض لسخرية زملائه في المدرسة من عدم توافق حركة عينيه بسبب ضعف في عضلات عينه اليسرى، والذي تحرش في مراهقته بابنة الجيران التي تكبره بتسع سنين، والذي كان يسرق من المال الذي تدسه أمه في دولاب ملابسها. والذي كاد أن يغرق حينما بدأ دروس تعلم السباحة التي تركها بعد ذلك، والذي تعلم التدخين في سن مبكرة حينما كان يخرج مع رفاقه للتسكع في الشوارع القريبة، والذي كان على خلاف مع والده بسبب موضوع الهجرة إلى أمريكا، والذي لا يعلم أن عمته قُتلت في نهاية شارع ريفولي قريباً من ميدان الكونكورد بعد أن انضمت إلى المقاومة الفرنسية ضد النازيين، والذي لم يكمل دراسته في كلية الحقوق، والذي الثقطت له صورة دعائية واقفاً فوق عربة مدرعة بلباس مغبر وذقن غير محلوقة ويظهر بجواره أعلى العربة علَم أحمر صغير، والذي لو لم يُقتل في معركة المزرعة الصينية لكان الآن أباً لطفلين ويراجع عيادة للصحة النفسية في شارع إنديانا آفي، والذي شاهد الجنرال اريال شارون وأدى له التحية في المناطق

المحاذية لطريق أبو طرطور شرق القناة، والذي قُتل بصاروخ مضاد للدروع في معركة المزرعة الصينية أطلقه الرقيب أول محمد محمد مأمون، راود هذا الضابط في كل الليالي التي بعد حرب ٦٧ حلم متكرر لا ينقطع، رأى نفسه ممسكاً بعصا غليظة يدفع بها رأسه الذي يتدحرج أمامه في كثبان رملية صفراء لا نهائية.

تلقيت مكالمة من صديقي الذي دائماً ما يبدأ المكالمة: أنت فين يا بني. وبعد أن طلب مني الخروج قلت له إنني سوف ألحق به. في العاشرة تقريباً كنت قد دخلت القهوة ورأيته يشير بذراعه الطويلة وينادي بصوت عالٍ. صافحته دون أن يقوم من مكانه. حينما جلست أمال رأسه ناحيتي وسألني ودخان الشيشة يخرج من فمه هل معي حشيش، قلت له وأنا أضحك: ليس معي شيء. كان كما هو دائماً مندفعاً وغير مبالٍ، إلا أنه طيب، منذ طفولتنا كان يقتسم معي كل شيء جيد يحصل عليه، ويقتسم معي مشاكله أيضاً. أردت أن أقول له عن موضوع الأحلام، لكن لم أقل حتى لا يبدو الأمر متكلفاً. قال لي: شفت - وسحب نفسا من خرطوم الشيشة - المره المخلولة عملت إيه؟ وبدأ يحدثني عن حماته التي طلق ابنتها بعد أقل من سنة زواج. وضعتْ علبة السجائر والولاعة على الطاولة، وصرت أشعل سجائري من الجمر على رأس الشيشة، وأستمع إليه وأعلق بتعليقات محدودة مؤيدة. كانت الأصوات تنبعث من كل مكان من الأفواه والشيش والتلفاز والموبايلات ودينمو الثلاجة وغلاية الماء ومن العربيات في الخارج. طلب لي - وهو ما زال يتحدث عن مشكلته مع حماته - شاي كشري. ثم راح يضحك ويقول إنه يحسدني لأني لم أتورط بموضوع الزواج هذا. سألني: هل أنهيت إجراءات إصدار تأمين طبي لأبيك، وطلب من عامل القهوة أن يغير له الجمر على رأس الشيشة. أشعلت سيجارة أخرى من الجمر قبل أن يغيره. قلت له إني أنتظر أن يستخرج تقريراً طبّياً. التفت إليّ بجسمه كما لو تذكر أمراً مصيرياً وسألني - وهو يشير بخرطوم الشيشة - مرافقته إلى الإسماعيلية، قال لي: لأجل تعزية رفيق قديم توفي والده. حاول أن يذكرني به، قال لي إنني قابلته مرة أو مرتين. تذكرته حينما قال لي إنه هو الذي كان معنا حينما تعطلت بنا السيارة على كوبري ٦ أكتوبر. قلت له إنني ربما لا أستطيع الذهاب، في الحقيقة تكاسلت أن أقطع كل هذه المسافة لأجل شخص لم أقابله إلا مرة، ربما لن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتذكرني. قال لي إننا لن نتأخر. أشعلت سيجارة بولاعتي وقلت له إنني سوف أفكر. طلبت كوب شاي آخر، شاي كشري. وهو يلعب بالموبايل لعبة قتالية أو شيئاً نحو هذا أشار لي لأنظر إلى التلفزيون، رأيت على الشاشة ياسمين صبري في لقاء مسجل مع إسعاد يونس، كانت جميلة ومحببة. علق متحمساً إن هذه الياسمين هي إله الجمال عند قدماء المصريين، وضحك. ثم شتم وقال إنه خسر بعض النقاط بسببها. قلت له إنها عادية، نظر إليّ مشمئزاً وهو ينزل الجمر عن رأس الشيشة بمفتاح الشقة. صمت وأكمل لعبته. طلب رأس شيشة ثانياً، ووضع موبايله على الطاولة. سألني عن أخبار الشغل في الصحيفة، قلت له إن كل شيء كما هو. غيّر عامل القهوة رأس الشيشة ووضع جمراً جديداً، أشعلت سيجارة من جمر الشيشة، وقلت له إنني أعمل على كتابة قصة قصيرة، عن حرب أكتوبر. شاهدت كثيراً من شهادات الضباط المصريين وضباط قوات الاحتلال، أفلاماً تسجيلية، خطابات السادات في البرلمان، قرأت مؤلفات عربية ومترجمة عن الحرب، ما كتبه السادات وبقية القيادات العسكرية عن الحرب. سجّلت ملاحظات على أكثر من أربعين صفحة عن كل شيء، عن أنماط الشخصيات، الأسلحة المستخدمة، أعداد القتلى والأسرى، التطور اليومي على الجبهة، سجّلت رسومات ومخططات توضح مواقع وتحركات القطاعات العسكرية. هذا العمل متعِب، العمل الفني، ليس سهلاً، عليك أن تعرف كل شيء كما لو كنت قد رأيته بنفسك وشاركت فيه. ثم بعد هذا التعب تستخدم أقل من ثلث هذه المعرفة. رد عليّ معزياً وقال إن القصص التي أكتبها جيدة. طلب مني أن أرسل إليه النص على الإيميل، قلت له إنني لم أكتب سوى جملة واحدة، أشعلت سيجارة أخرى وقرأت عليه الجملة الوحيدة التي كتبتها: **في الحقيقة كان الأمر ينطوي على مغالطة مضحكة، حيث إن المزرعة الصينية التي شقيث بها المعركة كانت مزرعة يابانية.** بدا متحمساً بعض الشيء وهو يستمع، قال إن هذا ليس مضحكاً لكنها بداية لافتة، هكذا قال. حدثته عن موضوع القصة وقلت له إن جوهر القصة ليس عن الحرب ولكن عن تأثير السياسي على العمل العسكري في حرب أكتوبر. وقلت له إن السادات أجبر القيادات العسكرية على تنفيذ أوامر فاشلة، حتى إنّ الإسرائيليين حاصروا الجيش الثالث الميداني بسبب تدخلاته، قلت له إننا خسرنا الحرب، وشتمت السادات. ضحك وقال إن هذه الأخطاء تحدث والمهم أن سيناء تحررت. بدأت أنزعج قليلاً

من كثافة الدخان في القهوة وقلت إنها ليست أخطاء ولكنها جزء من السياق، ومثل حكيم إغريقي اكتشف سر الوجود لكن بصورة كاريكاتورية قلت إنه لا يوجد ما هو اعتباطي، كل شيء خاضع لسياق ما، حتى جمر شيشتك. ضحك ولم يعلق. قلت له: ربما يتطور الأمر وأكتب رواية عن تأثير السياسي ليس على العمل العسكري فقط، بل على كل شيء، الدين، اللغة، الاقتصاد، الأخلاق، العلوم الإنسانية، الشارع أمام بيتكم. ويمكن أن أبدأ من حرب أكتوبر. وشعرت بسعادة غامضة وأنا أتحدث عن عملي، قال إنها ستكون رواية جيدة، ثم سألني باهتمام لماذا لا أجمع القصص التي كتبتها وأطبع مجموعة قصصية. قلت له: إنني لست مهتماً الآن. قال إنه قرأ مرة أن الجامعة الأمريكية في الكويت وضعت جائزة بقيمة 20 ألف دولار، وشجعني على أن أطبع مجموعتي وأشارك، ثم قال إنني لو حصلت على هذه الجائزة فقد نبدأ حينها أي مشروع. صمتُ ولم أرد. أشعلت سيجارة وقلت له إن أمراً غريباً حدث معي وأنا أعد لكتابة هذه القصة، ولأجعل الغرابة مبررة قلت له إنني كتبت كثيراً من القصص ولم يحدث معي هذا قبل الآن. ثم حدثته عن الكوابيس المزعجة غير الواضحة التي تعاودني منذ أن بدأت جمع مادة القصة. ضحك وخرج مع الضحكة دخان كثيف، وقال ربما هذه الكوابيس من تأثير السياسي، وسألني عن الكوابيس. قلت له إنها كوابيس مزعجة لا أتذكرها بوضوح، لكن كانت كلها عن حرب أكتوبر، أظن أني رأيت الشاذلي يقاتل بنفسه، الدبابات تدهس المجندين، ليالٍ مطيرة باردة، بكاء النساء، لا أدري أشياء كثيرة مزعجة. آه في مرة رأيت ثلاثة من عساكر الاحتلال في البلكونة ينظرون إليّ من خلف زجاج بابها، لم يهاجموني لكنني كلما اختبأت كنت أراهم ينظرون إليّ. فهمت من الحلم أنهم يريدون أن يقتلوني. كان هذا أوضح كابوس رأيته. قال لي إن هذا بسبب المبالغة في القراءة عن الحرب، وإنني أجهدت نفسي. قلت له إنني ربما أكتفي بتلك الجملة التي كتبتها وأنسى هذه القصة الكابوسية، ضحك وقال المهم أن تطبع مجموعتك القصصية. صمت وأشعلت سيجارة وطلبت شاي كشري.

عاشت أمي جزءاً هامشياً من طفولتها في ملجأ تحت الأرض. ملجأ بدائي حفره جدي بمساعدة أخيه في باحة المنزل، منزل شعبي قديم في عين شمس. بأدوات

الفلاحة حفرا خندقاً. جعلا له سقفاً من جذوع وجريد النخل وعوارض خشبية وغطياه بالتراب. كان ذلك في أيام حرب 67 لما كانت السماء ملعباً لطائرات الاحتلال الإسرائيلي. في المساء يطفئون كل الأنوار ويستعدون للنزول المحتمل في الملجأ. كانت الطفلة الصغير تكره اليهود، وتعتقد بأنه لا يوجد في العالم إلا مصر واليهود، وحينما ينتهي هذا الصراع سوف تقوم القيامة وينتهي العالم. لما كبرت أمي صارت تكره المحتلين، وتعرف أن التاريخ أوسع من هذا الصراع. وصار الملجأ مكاناً يلعب فيه الأحفاد حتى انهار من تلقاء نفسه، ربما مل من انتظار الحرب دون جدوى أو ربما كان غاضبا من معاهدات السلام.

تأملات في غياب المباهج

غرابة البقاء في المدينة المشعة بلوحات المحلات التجارية:

مزدحمة، مزدحمة وخانقة. الكتف بالكتف، أنفاس الرجل الذي أكل في الصباح صحن فول وبصلاً أخضر في أنفك، كرش متهدل لرجل ضئيل بقميص متعرق يلتصق بظهرك، ورجل أسود متعب يميزه شارب صلب، دخان كثيف ينبعث ورائحة احتراق أحشاء حيوان بري. مصعد متعطل خشرت به امرأة - تعاني رهاب القطط - وسائقها وابنها الذي يصرخ، وأربع حقائب كبيرة للسفر، وخادمة إثيوبية قوية البنية وغير مبالية، بكت المرأة وتمددت يائسة في أرضية المصعد. تمددت في المصعد الذي ينتظره في الدور البعيد في الأعلى - الدور السابع والتسعون - ثلاثة عشر عاملاً بنغاليًا من عمال شركة نظافة يعمل بها رجل أكل صحن فول وبصلاً أخضر يقرب فمه من أنفك. مزدحمة، مزدحمة وغريبة. لوحات إعلانية لا نهائية، في المطبخ الذي به رائحة احتراق أحشاء حيوان، في غرفة النوم، في بركة الماء لوحات أيضًا، في الغالب يضعون بها إعلانات عن صيانة تمديدات المياه، إعلانات في مصلى النساء، في حفرة تغيير الزيت رأيت لوحة، لوحات محلات تجارية يتكدس بعضها فوق بعض مثل تل من جماجم ثيران البيسون، ابتداء من محلات الماركات الباريسية وحتى الدكاكين المحلية في الأزقة التي يديرها عمال بإقامات منتهية. المطعم الذي لا يتسع إلا لأربعة أشخاص يتكدس به مئات الزبائن، يبيع شرائح لحم بقري متبلة ببهارات تصنعها امرأة نيجيرية تشتكي من آلام الظهر. الرجل الأسود الذي يقطع اللحم البقري في المطعم يمسح عرقه الآن ويرد على اتصال عاملة إثيوبية تعمل عند امرأة محشورة في مصعد، الحديد له رائحة الجبنة الرطبة المتعفنة، والفئران المتضخمة التي تزن في بعض الأحيان كيلو جراماً - وتتصرف كما لو كانت قططًا برية - تتكاثر في ناقلات البضائع التي تأتي من أوروبا الشرقية وإيران ومن الهند، وفي الميناء وعلى الشاطئ وفي حاويات النفايات الكبيرة وفي شقوق البيوت الشعبية، تتناسل في المطبخ الذي به رائحة احتراق أحشاء حيوان، في غرفة النوم، في مستودعات محلات شهيرة لا نستطيع ذكر اسمها. مزدحمة، مزدحمة ومؤذية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيل من السيارات التي تسير بلا نظام واضح، سيارات لا تكاد تظهر حتى تختفي في الشوارع الفرعية مثل صراصير هاربة، تسقط السيارات من الأعلى وتخرج من تحت أغطية فتحات الصرف الصحي، ومن الشبابيك تخرج سيارات. طريق إسفلتي سيئ، وسيارتي صغيرة لا تحتمل كل ذلك. في الطريق وأنت تحاول اللحاق بموعد عملك أكوام من المصدات الإسمنتية الصامتة، صامتة وأبدية. وقد يصادفك في طريقك وأنت تحاول اللحاق بموعد عملك دولاب ملابس، دولاب ملابس خشبي تلعب بأبوابه التيارات الهوائية التي يصنعها مرور السيارات التي تتفاداه، وقد يصادفك رجل أسود متعب يميزه شارب صلب، جثة فتاة منكشفة البطن غرقت في السيول التي دهمت المدينة، ثقوب سوداء لكنها ثقوب أرضية، حيوانات برية كانت في الحقيقة بشراً، وقد تصادف أشياء أخرى لا أدري ما هي. وبالتأكيد ستصادف ماء لا تتنبه لطبيعته، يخرج من العمارة التي تمر أمامها الآن وأنت مشغول بالبحث عن بوفية تتذكر أنها بالقرب. الفضلات الإنسانية الرطبة تطفح من كرسي الحمام مثل رخويات بحرية، داكنة وثقيلة. بعد أن تجاوز الماء الطافح الصالة ووصل إلى الباب الخارجي للشقة التي لا تتجاوز مساحتها 30 متراً مربعاً، وتسكنها عائلة من زوجين وسبعة أبناء وفتاة، وفتاة أخرى مصابة بالجذام لكن لم تظهر عليها الأعراض حتى الآن، قالت المرأة التي كانت تريد الخروج لكنها وقفت على الكنب لتحتمي من الماء الطافح والرخويات الداكنة: الله يلعنكم دا من خراكم، وشعرت بغثيان وقلة حيلة وقالت لشخص كان نائماً: قوم شوف البلاوي. في المساء حينما بكت وهي في الحمام تحاول تسليك مجرى الصرف الصحي ورأسها المعصوب يؤلمها وقعت على شحمة أذنها ناموسة كانت في حقيقتها غرابًا. سمعت صوت ابنها ينادي خائفًا لأن أنفه ينزف دماً أسود ثخيناً ، قالت: الله يلعني أنا اللي خلفتكم، وشتمت شتيمة قبيحة جداً لا نريد ذكرها. طَرق باب الشقة التي لا تتجاوز مساحتها 30 متراً مربعاً شخص أرسله شخص آخر، لما ردت عليه من خلف الباب متلثمة قال لها إن عليهم إصلاح المجاري، وعليهم دفع الإيجار، يرن هاتف المنزل وكان الذي يطلبها رجل آخر غير الذي كان نائماً . الفتاة التي ليست مصابة بالجذام تقول لها إن مريولها انقطع. وعليها أن تجلي المواعين أيضاً، وتنظف الولد الرضيع الذي يبكي الآن، وتصلي المغرب التي فوتت وقتها. مزدحمة، مزدحمة ولا أدري ماذا أقول. الرجل الذي يعمل في مكتب عقار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يفتح على شارع لا نريد ذكر اسمه قال للرجل الذي يجلس أمامه حائراً : لا تزعجنا، روّح الله يستر عليك. الرجل الذي يجلس حائرًا شعر بمرارة، ولم يدر ما يصنع. ركب سيارته التي اشتراها من مصري يعمل في مستوصف خاص، يعرفه منذ سنوات، قبل أن يغادر نهائيا بأسابيع باعها له بثمانية آلاف. المصري الذي يعمل طبيباً في مستوصف خاص، كان يعرف صيدلياً تعرض لضربة ساطور في كتفه، بعد أن حاول مقاومة رجل أربعيني داهم الصيدلية. وقف أمامه، وكان الصيدلي جالساً يلعب بجواله ويشعر بالضجر، قال الرجل الأربعيني الذي كان مشوشاً في تلك الساعة: طلّع الفلوس كلها. وضرب بساطوره زجاج طاولة العرض. هذا الساطور ورثه عن أبيه الذي كان يستخدمه لتكسير عظام الأضحية صبيحة العيد، قبل ثلاثين سنة تقريباً. أحس الصيدلي بالموت، اتصل البنغالي الذي يعمل معه في الصيدلية بالشرطة، جاء البلاغ لعسكري يوقف دوريته بجوار بوفية السعادة، التي تقع في شارع فرعي يعمل بها هندي فكر في الانتحار بعد أن صادرت الحكومة الأرض الزراعية التي تملكها من عمله في هذه البوفية. قال العسكري في نفسه: أشغلونا هالملاعين. في هذه اللحظة تحديداً قالت المرأة التي تعيش في شقة لا تتجاوز مساحتها 30 متراً مربعاً وهي تجلس في المطبخ ساندة ظهرها على باب الثلاجة: من وين نجيب فلوس. في الشارع مر أمام العمارة رجل أسود، كان ينادي رجلاً آخر بعيداً، ظنت المرأة التي تسند ظهرها على باب الثلاجة وتزعجها رائحة المواعين الوسخة أن الصوت لأحد الجيران. أما الفتاة التي كانت مصابة بالجذام ولم تظهر عليها أعراضٌ حتى الآن فكانت خائفة في سجن دار الرعاية على سرير صلب، تشعر بالمهانة والانكشاف. مزدحمة، مزدحمة ومؤذية. المرأة النيجيرية التي تشتكي من آلام الظهر وتصنع بهارات لتتبيل اللحم البقري تشعر بالغضب، وهاجت مثل المصروعة، لأن عم زوجها اتصل بها وقال بلغة صلبة وهو يجلس مع أربعة من أقاربه إن ابنها قد خُطف. الرجل الذي قالت زوجته: قوم شوف البلاوي صوّرته كاميرات المراقبة يقتحم صيدلية بساطور، لم يخبئ الساطور، دفع الباب الذي قال «صلّ على محمد»، وقف، وضرب زجاج طاولة العرض، أمر الصيدلي أن يخرج المال، قال له: اسمع، أنا ماني حرامي، أنا أبي ثلاث آلاف بس، وإذا رزقني الله بردهن لك الله يلعنك. في النهار كانت المرأة التي عملت في مدرسة خاصة بالقرب من الصيدلية تنتظر السائق، بكت وراحت

تكمل طريقها مشياً، ولم تكن معها ثلاثة آلاف، لأن الراتب تأخر. مزدحمة، مزدحمة ولزجة، في أثناء سيرك سوف تفكر تفكيراً سطحياً في الأمور التي قد تجلب لك المال، وربما تخيّلت سهولة عمل مشروع بدائي. الرطوبة والحرارة العالية تضغط عليك، الهواء الثقيل يمر ساخناً في تجاويف أنفك، والعرق يظهر يابساً على ثوبك الأبيض، وتشعر بأنفاس الرجل الذي أكل في الصباح صحن فول وبيضاً وبصلاً أخضر تلامس قفاك كما لو كانت أنفاسه دبيباً حشرياً، قريبة ودافئة، وصوت نفَسه يحك غشاء مخك، الأصوات المشوهة تصل إلى الأعالي، العرق غزير والرجل اليماني عصب رأسه بمنشفة قذرة غرقت في العرق. تجلس في المقعد الخلفي للسيارة قرب الباب، ويلتصق بك رجل أفغاني، يلتصق به رجل أفغاني آخر، ورابعكم رجل مصري لا يسمع جيداً، ولا يبالي بهذا الجو الخانق. إذا نظرت من النافذة سوف ترى لوحات المحلات اللامعة تجري، وصهريج صرف المجاري متوقّفاً يمد خرطومه الخلفي في فتحة أرضية، فتحة أرضية تتكاثر بها الجرذان، والفئران التي تتصرف كما لو كانت قططاً برية، الرجل الذي يجلس مكان السائق في صهريج صرف المجاري لا يشعر بالغثيان، ويتمنى لو ينتهي مبكراً حتى يأكل صحن عدس من عند يماني يعصب رأسه بمنشفة غارقة في العرق. أنفاسك تتضاءل، وحرارة الجو مؤذية، تشعر بها في مزاجك، وفي الصداع الذي يدق جبهتك بمساميره. لن تجد عملاً. تقول في نفسك التي تشعر بالوحشة إن البقاء في هذه الأماكن يستلزم المال، البيع، الشراء، النوم، الأكل، الصداقة، النفاق، الجلوس في السيارة، إيجار الشقة، تسليك انسدادات المجاري، الاحترام، آه، العودة للوطن، غسل العرق الأصفر اليابس على الثوب، وكل شيء بعيد لم تفكر فيه، كل شيء يستلزم المال. يصطدم رأسك برأس الأفغاني وبزجاج النافذة، يقول المصري الذي لا يسمع جيداً للسائق: مابشويش يا عم. شعرتَ بالانزعاج؟ آلمتك الضربة من رأس الأفغاني، أقول لك الحق: إن لم تملك المال الآن فليس لألمك معنى إلا مزيداً من اليأس. تفرك جبهتك بيدك، وتحاول أن تتنبه لرأسك حتى لا يندفع دون إرادتك. ترى لوحات المحلات التي تعود للجري أمام عينيك في تكرار أبدي يطغى على كل شيء قد تراه.

عن تلك العلاقات التي نسيتها، حسناً :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت الشمس صافية حيوية، وأشعتها الصيفية تنبئ بيوم شتوي دافئ. يوم من أيام يناير المختلفة الذي يستحق أن تستشعر به نشوة غير محددة، سعادة آتية من أيامك البعيدة، أيام طفولتك حينما تجلس على منضدة المطبخ تراقب أمك التي تنظف سمكة بلطي من أمعائها وتقشر حراشفها، وضوء الشمس الذي يهرب من الشباك العريض فوق المجلى يبعث على الإحساس بحميمية تجاه الأم. تلعب من مكانك على المنضدة بعلبتي الفلفل الأسود والملح، تحركهما كما لو أنهما سيارتان. أمك تنظر إليك بعفوية وتضحك، تمد في وجهك ذيل السمكة المقطوع لتخيفك بمرح، وصوت التلفاز يأتيك خافتاً مناسباً لصوت تلفاز في أول أيام الأسبوع. والألوان الخشبية الداكنة التي تغطي أرضية المطبخ ورائحة قشر البرتقال الذي تحرقه الأم على الموقد، كل ذلك صنع هالة مريحة حول هذه الذكرى التي تتذكرها الآن في يوم من أيام يناير الدافئة. على الشاطئ خارج المدينة، في مكان غير مُدرَك، كان الزبد الأبيض للموج يندفع بقوة ليرتطم بمكعبات الساتر الحجري، ثم يرتفع عالياً. موج البحر، الهواء البارد الذي تدمع العين منه، النوارس تتنافس على سمكة مقطوعة الرأس، تحلق وتهوي. رائحة البحر الثقيلة، انتابه خوف غامض من قوة الموج واتساع البحر. النخل المستورد بجذوعه العالية. تمنى لو أن معه الآن سيجاراً. جلس على الكرسي الأبيض الخشبي، على الكرسي الأبيض الآخر تجلس فتاة جميلة، لها جدة قديمة في صنعاء، تسمي بالله قبل أن تفعل أي شيء. تنظر للبحر، لا تدري لماذا تذكرت شمس الظهيرة في صالون البيت، الشبابيك الكبيرة القريبة من الأرض، وستائر الشيفون المطرزة. أصوات الأطفال الذين يلعبون حول المسبح، الإحساس بالهواء الهادئ المنبعث من فتحات التكييف في السقف، الاسترخاء على الأريكة وقراءة رواية بلزاك باللغة الإنجليزية، ودرس البيانو مع الآنسة صفاء في صالون المنزل، نغمة الدو في آخر سلم العجم ترن في أذنها. كانت هذه سجارتها الثانية. نظرت إلى عينيه، هو أيضاً ينظر إلى البحر بصمت. ببطء قال لها: لقد حدث كل شيء على غير ما أريد، ومعارضاً لطبيعتي. ولم ينظر لها. نظر بيأس إلى الخلخال في ساقها، ود لو يمسك يدها، لكنه خشي مع هذا الاندفاع أن يبدو ضعيفاً أو أخرق. قالت: لا أريد أن أتكلم بشيء، صوت ارتطام الموج بالساتر الحجري قوي وحاد. مد يده إلى علبة سجائرها، لم تنظر، ومدت له القداحة. وقف

ومشى خطوتين أو ثلاثاً للأمام، لو أني أرمي نفسي الآن في البحر، خجل من نفسه لأنه لم يجد القوة لمواجهة هذه الأمور. دخن، وعاد ليجلس، لم ينظر لعينيها. تمنى لو أنه الآن يبكي وينتهي كل هذا التوجس، لا أحتمل هذا الثقل. قال لها بيأس وهو ينظر للخلخال ويكاد جسده يميل للأرض: هل تنسي ما حدث؟ تخرج الكلمات ثقيلة وكأنها تُنزع نزعاً من روحه، صوت ارتطام الموج بالساتر الحجري. قالت وهي تشعر بعاطفة تجاهه وتود لو أنها تستطيع أن تنسى وأن يعود كل شيء كما كان: لم يحدث شيء مهم. وصمتت. جال في نفسها تصور كئيب عن الوجود، لم يكن واضحاً لكنه في معنى ما تصور عن محدودية المباهج في هذا الوجود، حينما تسير حياتك على نحو ممتاز، سوف يكون ذلك هو الوقت المثالي لضربة الفأس التي تقسمك نصفين، والإنسان على أي حال ليس شجرة ليحتمل ضربة فأس حديدية وصلبة. حينما تشعر بقوة وسعادة الامتلاك تغمر روحك وترى فاعلية المال بأم عينيك سوف تصيبك الأوبئة النادرة، أو تحترق عائلتك، أو ينسلخ جلدك أو تقع عليك طائرة بوينغ وأنت تمشي دون خوذة رأس. ثم فكرّت أن كل هذا قد يقع لك دون أن تملك أي قوة حتى حينما تكون حقيراً مهمّشاً . هكذا تصورت. قال لها وهو يرى التماع ضوء الشمس على خلخالها: يمكن أن نبدأ كل شيء من جديد لو مرت هذه الأوقات، أرجوك. نعيش في أمريكا هذه المرة، أطلب نصيبي ثم نذهب، سوف تكون لنا حياة جيدة. أرادت أن تقول إن هذا ضد طبيعتها، لكنها صمتت، ثم قالت وهي تنظر إلى البحر بكآبة: أنت لا تفهم. وأعادت ما قالت لأنها حينما نطقت «تفهم» توافق نطقها مع دوي ارتطام الموج بالساتر الحجري: أنت لم تفهمني قطّ. أمسك يدها قاصداً أن يقبل ظهر كفها لكنه في لحظته تلك كان مرتبكاً وعاجزاً عن قول كلام مفهوم، لذلك رفع يدها ناحية صدره وبكى. أتذكر أنه حينما كان صغيراً أراد أن يفعل شيئاً مدوياً، يفعل ما يجعله يفتخر لآخر يوم في حياته بتلك القوة، سوف يقول الجميع من هذا الذي فعلها؟ يا للولد الشقي، وظن أنه حينها سوف يكتم ابتسامته لأن أحداً غيره لن يعرف من فعل ذلك. ولم يخطر بذهنه أمر أكثر حمقاً ولا تفاهة من تدمير سبورة الفصل بالحبر، حينما بدأ جميع الطلاب بالخروج للفسحة بعد الحصة الثالثة، تظاهر بكتابة درس ما في دفتر الرياضيات، حتى يجعل تأخره في الفصل أمراً طبيعياً، جزءاً من يوم دراسي عادي. ولما مضى بعض الوقت وتأكد أن الجميع قد نزل للفسحة، كسر قلماً، قلم حبر أزرق

سائل، وكسر آخر أحمر ببعض الصعوبة. استخدم أسنانه لكسر رأس القلم، واستعان بساق الكرسي، كان الحبر الأزرق يبدو داكناً يميل للسواد، ثم أخذ يرسم خطوطاً بالطول والعرض على السبورة حتى تتعذر الكتابة على المدرس في الحصة التالية. لما انتهت الفسحة وعاد بقية الطلاب، دخل المدرس وبدأت حصة رياضيات أخرى ثقيلة. لم يحدث شيء لأن الخطوط على السبورة كانت غير مؤثرة. على عكس بقع الحبر في يديه وبجانب فمه، كانت بقعاً قوية وظاهرة، بقعاً مؤثرة. أما الآن فإنه يبكي ويحاول أن يتنبه لرأسه حتى لا يندفع دون إرادته. سحبت يدها، وشعر بالخجل من نفسه المنهارة. تمالك نفسه وقال لها بخطابية يائسة وافتعال من يلقي قصيدة: على الرغم من كل شيء ترينه ، أنت لم تري روحي الممزقة روحي الخاوية. إني دونك شقي ولا أجد أي معنى لكل هذه البهرجة، أغمض عينه وقال: أرجوك. هي أيضاً كانت حزينة، على الرغم من كل شيء. نظرت في الأفق للنوارس التي تحلق، ضوء الشمس، الهواء البارد. قالت: أنا لم أفعل شيئاً. وأرادت أن تقول: أنت تفسد مباهجنا، لكنها لم تقل، ما الفائدة من الكلام، أشعلت سيجارة أخرى. غاضبة، فكرت أنه يستحق الألم، وأن ارتباطها به لا جدوى منه، ولا جدوى من أي شيء. نظر للخلخال في ساقها وقال: قلبي يتحطم ولن أكون سعيداً بعد الآن، وأنا إنسان على أي حال. أرجوك.

تأثير الجوع على عقل شاب يندس تحت طاولة المقهى ويتحدث:

من هذا القبو الرطب، من هذا القبو المتهالك ذي الرائحة الخانقة والهواء المتعفن. من هذا القبو المستأجر المليء بأنواع غريبة من الحشرات الميتة، ومن هذا القبو الذي تقشرت أصباغ جدرانه كما يتقشر جلد حيوان زاحف، من هذا القبو المتفحم الذي اسخدم من قبل لتخزين أكياس البصل. من هذا القبو العفن والمريض، نعم المريض، من هذا القبو المرحاضي، بإضاءته الضعيفة، وسقفه المنخفض، بمصباح واحد، مصباح واحد يتأرجح في أعلاه. وأوراق قليلة، بملابس متسخة وقديمة، وبعجز عن توفير الطعام الكافي، وهذا سيئ. وبعد طردي من العمل في المكتبة العامة، لأنهم اكتشفوا أني أنام فيها بعد أن ينتهي العمل. من هذا القبو، وبعد أن بلعت بعض الطعام وصار في معدتي خليط من الحليب الدافئ والبطاطس المهروسة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والماء، وهذا يكفي لتنشيط الذهن لهذه الليلة. من هذا القبو أريد أن أكتب لكم أنتم عن السعادة، لا تضحكوا. وأرجو أن تُظهروا لي بعض الاحترام. على أي حال لن أخبركم من أنا، حتى لا يستغل أحدكم شيئاً ضدي. ولذلك لن يكون لاحترامكم أهمية. وهذا واضح. في الحقيقة لا أدري ما هي السعادة وهذا مخيب. ولكن في الحقيقة أيضاً لست مهتماً أن أعرف ما السعادة، ولا يهمني أهي مجرد عملية فسيولوجية من تلك العمليات التي تقوم بها الهرمونات والنواقل العصبية وتلك الأشياء غير المفهومة، أم شعور نفسي ينبعث من اللاوعي أو من أي مكان آخر. إن الجوهري في موضوع السعادة، وهذا ما سيجعل ما أقوله أساسياً في كل حديث قادم عن السعادة، حتى بعد عشرات السنوات، وربما أكون مبالغاً، لكن أنا بكل صراحة أعتقد أني إنسان عظيم، وليس من أوجه عظمة في شخصيتي كما ترون إلا هذا الكلام الذي أقوله وتلك الأوراق التي أكتبها. على أي حال، لا أريد أن أتفرع في أمور تافهة. أقول إن الجوهري في موضوع السعادة اكتشافي - وهو اكتشاف ليس لأحد فضل فيه، جاء بعد أن طُردت من العمل ولم أجد مكاناً للنوم، وبعد جلسات طويلة في الحمام، تعرفون تلك الأفكار العظيمة التي تأتي أثناء إخراج الذي لا تريده المعدة من خليط الحليب الدافئ والبطاطس المهروسة وقشر الطماطم العائمة في المعدة فوق الحليب، على أي حال هذا غير مهم - الترابط الحتمي بين السعادة وتحقق الإرادة. لا تستعجل وتسخر من صياغة العبارة، أنا كما ترى أعمل في حدود ضيقة، ولو كنت في وضع أحسن من هذا لكنت رجلاً محترماً، ولقال الجميع: يا لهذا العبقري، وسجدوا أمام هذه الصياغة نفسها التي تسخر منها. إن السعادة مرتبطة كما أقول لكم ارتباطاً حتمياً بتحقق الإرادة، وهذا يعني أني فهمت كيف تحدث السعادة التي لا أعرف طبيعتها. حسناً، إذا قبلتم مني هذه الإضافة العظيمة التي سوف تغير مسار العلوم الاجتماعية سوف أتوسع في بحث هذا الأمر، لكن مثل هذا البحث يحتاج إلى ذهن متقد، والذهن حتى يتقد يحتاج الطعام الذي يمده بالطاقة. أرجو ألا يفهم أحدكم أني أطلب الطعام مقابل ما أقول، أرجوكم لا تفكروا بهذه الطريقة المستفزة. على أي حال لن نتوسع في الكلام عن المواضيع غير المهمة. حسناً، حينما يريد الإنسان شيئاً - مهما كان عظيماً أو حقيراً، شريراً أو خيراً - يفعل ما يُحقق هذه الإرادة، ومن المؤسف أنه مع هذه النزعة الاستهلاكية راكم رغبات أكثر من إمكانية هذا العالم، أنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لست من هؤلاء الذين ينجرفون خلف رغباتهم، وقد اخترت أو أجبرت بسبب هذه الظروف التي ترونها على أن أرجئ كل الرغبات التي تندفع في ذهني دون أن أعرف مصدرها اللاّ عقلاني ، إلا تلك الرغبات التي لا أستطيع إرجاءها مثل الأكل، النوم، الذهاب إلى الحمام، والتفكير بالطبع. حسناً، حينما يجد الإنسان أن رغبة جاءت ذهنه من مكان لا يعرفه - وليست رغبات الإنسان كلها عقلانية، أرجوكم لا تفكروا بهذه الطريقة السطحية - يبدأ القيام بالأفعال التي تقربه من تحقيق هذه الرغبة، فإن تحققت شعر الإنسان بمستوى معين من السعادة، سعادة لها مدى محدد من القوة في شعور الإنسان وفي امتدادها الزمني، بحسب تعلق الإنسان بتلك الرغبة، وإن لم تتحقق شعر الإنسان بحزن ما. حسناً، قد يقول شخص يفكر بطريقة معاكسة: لماذا نحزن حينما يموت أحد الذين نحبهم، وأنا فكرت في هذا الأمر، بعد أن شربت كأس حليب وبلعت بعض البطاطس المهروسة التي لم يعجبني طعمها كثيراً. نحزن لأننا نريد بقاءهم ومع موتهم يستحيل تحقق هذه الإرادة، وإدراكنا هذه الاستحالة هو ما يدفعنا إلى البكاء ويراكم الحزن على قلوبنا. لكني - وأنا أسمع خرفشة الفئران خلف الجدران الخشبية المتقشرة - أقول لكم: إني أحتاج توضيح بعض الأمور، حتى لا يظن أحدكم أن لا فائدة مما قلته لكم. رغبات الإنسان ليست بهذه البساطة، أقصد أنها معقدة ومركبة. حينما يكون شعب ما تحت الاحتلال الأجنبي تتولد في عموم الشعب رغبة تحرير الوطن، هذه الرغبة التحررية تتعارض مع رغبة المحتل في البقاء والهيمنة. ولأن طبيعة وجودنا لا تسمح بتحقق رغبتين متعارضتين في زمان ومكان واحد سوف يقع صراع بين الطرفين لتتحقق إرادة الأقوى منهما. وحينما لا تتحقق إرادة الشعب المحتل ينتشر شعور عام بالحزن بمستويات مختلفة، ليس حزناً خالصاً، لأن الإنسان معقد على أي حال، وقد يشعر الشعب المحتل بالسعادة حينما تتحقق إرادته في وقائع أخرى، على الأقل حينما ينتصر فريق كرة القدم القومي، وهكذا. يبدو أنني بدأت أقول كلاماً غير مرتب، هل تفهمون قصدي. في الحقيقة أنا أشعر بالتعب والتشويش. الذي أردت أن أقوله على أي حال: إن الحزن في هذا الوجود حتمي ولا فرار منه، لأن الإنسان راكم رغبات أعلى من موارد هذا العالم، ولأن الإنسان محدود القدرة وضئيل وغير قادر على تحقيق كل الرغبات، وحتى إن كانت موارد العالم تفي بالغرض، وكان الإنسان قادراً فإن الرغبات الإنسانية متعارضة

ويتعذر أن تتحقق كل تلك الرغبات. لذلك إذا وُجد فردوس أرضي أو في أي مكان آخر في الكون سوف يكون غير محدود بطريقة غير منطقية وخيالية، يسمح بتحقق كل الرغبات المتناقضة. وإلا سوف يكون فردوساً حزيناً مثل هذا العالم. الحق أقول لكم من هذا القبو عديم الإنسانية.

ما الذي يتغير حينما يُقتل السيد ع بسكين باردة:

نادت السيدة التي تمر بهدوء ابنها ليدخلا المحل الذي تقف قربه، كانت رائحتها مثل رائحة الدراق المطهو. تذكرتُ أياماً قديمة. رفع البائع في المحل صندوقاً خشبياً ونادى شخصاً آخر أطول منه كان معه في المحل. دخلت المرأة بعد ابنها الصغير، رأت الرجل الذي أكل كستناء مسلوقة البارحة وهو يحمل الصندوق والرجل الآخر يساعده، تنبهت إلى تعرق قميص الرجل. كنتُ أنا قد تجاوزت المحل بخمسة عشر متراً. توقفت بجوار نزل معروف لا نريد ذكر اسمه، يقصده العمال والمومسات اللاتي يتزيّنّ بتكلف وبهرجة كما لو كن سيدات أرستقراطيات. ابتسم لي رجل ضعيف البنية ولم أتنبه، يقولون إنه يعمل لمصحلة رئيس البلدية ولا أدري ما معنى هذا. مر رجل حقير أمام المحل، يرتدي قميصاً زيتياً قبيحاً، وبعض خيوطه مهلهلة. شعر حاجبه متطاير، كان قد جُلد منذ مدة لأنه يعمل في تهريب الملح. قالت السيدة التي كانت خائفة مما سمعته من أخبار مبالغ بها عن أعمال عنف وقتل موظفي الضرائب في الريف: مرحباً. هل السيد بيرانتو موجود؟ قال لي إنه قد يكون موجودا الساعة الثامنة. عبرت الشارع من خلف عربة نقل البريد - التي انبعثت منها رائحة روث الخيل - قاصداً المحل الذي يبيع كل شيء. لما دخلت المحل كانت رائحة الأثريات القديمة كثيفة. قال الرجل الذي أكل كستناء مسلوقة البارحة: السيد بيرانتو لم يأت بعد، ثم صمت. قرّب إليّ السيد في المحل الذي يبيع كل شيء كرسياً خشبياً وقال: تفضل. ولا أدري هل هذا أدب منه أم أنه يشعر بالملل. قال لي: هل سمعت بالذي يجري، يا للهمج. قلت له بتأثر: نعم، يا للهمج، لكن لم آت لهذا. قطع هذا الحديث الجلبة التي تحدث في الشارع، تسارع الناس للاقتراب من بقعة الدم التي سقط فوقها الرجل السمين، نظر البائع للشارع وقال: لا بد من أن مشاجرة وقعت. خرجنا، وفي الحقيقة كنت سعيداً لوجود ما أتسلى به. كان البائع يشتم الأعمال الهمجية التي

انتشرت في الشعب، ولما اقتربنا من زحمة المتجمهرين أطبق عليه خرس المريض العقلي. سمعت المرأة التي جاءت من الريف لتعمل مرضعة عند أسرة من النبلاء تقول وهي تنظر مفجوعة لما يجري: يا مريم العذراء. ورسمت علامة الصليب. قال الشاب المتحمس الذي أدمن لعب الورق والاقتراض وهو يضرب بقدمه قدم المقتول السمين: لقد قتلوه، هذا مؤكد. الرجل ذو الأسنان المتآكلة قال وهو نصف سكران: لم يمت، لم يمت، شموه النقود وسوف يرفس بقدميه حتى ينهض. الرجل الذي نال لقب النبالة حديثاً قال بخوف: أيها الملاعين. لم يكن الأمر مسلياً، ولا يثير الضحك، رؤية الرجل الميت ودمه القاتم مرعبة. رائحة الدم تختلط برائحة شعر النساء القريبات وجلد الأحذية والروث والرائحة المميزة لعمال تنظيف المداخن ورائحة الممرضات اللاتي يعالجن مرضى الديزنتاريا. حلت امرأة شالها عن رأسها وغطت به وجه السيد الصريع. أردتُ أن أعود إلى شقتي وأنام، تملكني الثقل والصمت، ما الذي يراه الآن؟ هل يدري أنه ميت، هل يشعر بالألم أو بالإهانة. مشيت مثل الذي نسي نفسه، لا أدري. لقد مات المئات، ولم أرَ أيا منهم، الآن هذا هو الموت طازجاً، لقد كان هنا منذ لحظات، هذا الموت الأبدي، هل صار شيخاً هرماً الآن؟ وتخيلت الموت مثل شيخ كبير يجلس منتظراً على قمة جبل، بيده عصا غليظة. قال لي الرجل: هي، ألا تتنبه. تحرك في أعماق روحي خوف قديم، منذ الإنسان الأول، خوف من إدراكي أني لن أكون خالداً في هذا العالم.

كان من ضمن المتجمهرين حول المقتول - وهذا غريب - السيد الكلب، كنت أظن فيما سبق أنه سوف يتصرف على طبيعته ويبتعد عن هذه التجمعات الغوغائية. تجمع لا يليق بسيد. وقد قيل لي إنه كان موجوداً من قبل أن تقع الحادثة البشعة، وشاهد كل ما حدث منذ البداية. وأذكر قصته من بين كل المتجمهرين لأنها سارت في مسار غريب، لا يخلو من الافتعال والمبالغة بظني؛ لأن عنقه - بسبب صعود قوة جديدة بعد تلك الاضطرابات التي وقعت - في النهاية سوف توضع تحت المقصلة، وسوف تتدحرج رأسه في الوحل، وحينها سيغمض عينيه ويقول: آه ما هذا. ولن يجد أحداً في كل هذا العالم يساعده على كل شيء ويحمله في كل مكان، أقصد يحمل رأسه ويمسح عينيه إذا لزم الأمر ويحك أنفه ويقرب له الأكل الذي لا ندري

إلى أين يذهب، وكل تلك الأمور التي تحتاجها رأس السيد الكلب، لن يجد لكل هذا سوى خادمه الذي ظل يخدمه دون أن يحصل منه على أجر، لأنه ليس سوى رأس. كان السيد الكلب -قبل أن يصير رأس كلب فقط- بالقرب، يعمل على إتمام اتفاق حول بيع مزرعة في الريف، كان مرتاحاً إلى أن الأمور تمضي كما يحب. تنبه من مكان جلوسه إلى رجل قلق يدفع رجلاً نحيلاً أخرق، يغطي جانبي وجهه بياقة المعطف. رأى اليدين تتدافعان، ولم يسمع ما يقال، ارتبك وأحس بورطة لما رأى السكين بيد الأخرق النحيل، حرك يده بلا شعور يريد منع الأخرق، وقف في مكانه وصرخ: ابتعد.. ابتعد. قام كل من في المقهى حتى الذين لم يتنبهوا إلا بعد صراخ السيد الكلب. قال النادل: سكارى آخرون. تجمهر الكثيرون حول الرجل الذي سقط على الأرض بعد أن فر الشاب النحيل الأخرق. قال السيد الكلب: لعله لم يمت، ألا يوجد طبيب هنا.. ابتعدوا قليلاً. منذ تلك اللحظة القبيحة، لحظة قتل سيد محترم يتمتع بحياة جيدة، وإن كانت في الحدود الدنيا، منذ تلك اللحظة تملكث السيد الكلب حالة من الغرابة وعدم الفهم، وفكرة غير مكتملة عن الانقطاع المفاجئ للمباهج. قال للحوذي وهو عائد للبيت: أسرع.

كان السيد ع الذي سوف يُقتل بعد قليل يشعر بالضيق لما نوى الخروج، وازداد ضيقه لما تنبه إلى تعرق إبطيه. مد يده لجيب الجاكيت الداخلي وأخرج منديلاً ومسح جبهته. قال: يكفي هذا لقد تأخرث. في الشارع تداخلت أمامه الحركة والثبات، الصوت والصمت، مرت أمامه امرأة مسرعة كانت منشغلة ولم تره. الرجل الذي عدل بنطاله على الرصيف الآخر قال: لن أقبل. الطفل الذي خرج من الزقاق ركض مسرعاً واختفى في زقاق آخر. اصطدم به شاب، نظر إليه بصمت. السيد ع فتح كف يده اليمنى وقال: ألا تتنبه أيها الوقح. قبض كف يده وأراد أن يلكمه بقوة. قال الشاب بغيظ تاريخي: هذه لك يا مجرم. رأى السيد ع السكين في يد الشاب، ارتبك، وشعر بتعرق إبطيه. أظفار يد الشاب المتسخة، صورة مشوهة للشارع على سطح السكين البارد الأملس. تراجع للخلف، برجاء ذليل قال: لماذا، لماذا. كل شيء ثقيل وغير واضح مثل تمثال سوريالي صخري. صوت انغراس السكين في لحم البطن. البرودة في حد السكين، انفجارات الشعيرات الدموية. صوت حاد وبطيء.

أحس برعشة التوتر في قبضة الشاب، دفء الدم على القميص. طعم الدم في فمه. الغيظ التاريخي. صرخة المرأة التي تمر منشغلة، وضعت يدها على فمها وهي تفكر لو أن أحداً قد يطعن ابنها بسكين. الألم الحاد الذي أصاب ساقي السيد ع بالضعف. انغرست السكين مرة أخرى. رائحة تعرق الشاب الهائج الذي لم يدرك إلا بعد الطعنة الخامسة. اجتاحه خوف رهيب، وتمنى لو أنه الآن مختبئ تحت أرضية كوخ مهجور. سقط السيد ع. وحل الدم يغطي الأرض تحته. لا شيء يتحرك إلا بعض الحركات اللاّ إرادية من عضلة الساق والجفن. خدر ما قبل النوم، خدر يسري بلطف في كل الجسم، ألم حاد كما لو أن صاعقة من السماء أصابته. صار جسمه أبرد من سطح السكين، قال برجاء: ما هذا؟ ومات للأبد.

غرائبية حديث رأس كلب قطعت تحت المقصلة:

السماء تمطر مطراً كثيفاً، الصوت يأتي خافتاً داخل المقهى، لكنه يصل. التناقض بين الظلمة الكثيفة وبرك الماء في الخارج والإضاءة الدافئة في الداخل أشاع بين الجالسين شعوراً بالرضى والاطمئنان. الامتزاج بين روائح الأكل المختلفة ورائحة الخشب والمشروبات والعطورات النسائية، يا لهذه الذكريات. حسناً، وهل تأتي الذكريات الطيبة إلا حينما نشم العطور النسائية؟ في المقهى، أصوات الضحك والكلام البذيء والشعر الغزلي، احتكاك أرجل الكراسي بالأرضية، الملاعق بالصحون، صرير فصالات الباب، المرأة التي تتحسس شحمة أذنها. نقاش حول كروية الأرض بين ثلاثة رجال وامرأة متحمسة للحديث، النداء المتكرر للنادل. في المقهى على أي حال جرائد مكومة منذ أمس. كان الرجل الذي يعيش في القبو يجلس بحذر، ويتمنى لو أمكنه أن يندس تحت الطاولة. لم يكن لوحده، على هذه الطاولة جلس معه السيد ع الذي قُتل في أيام بعيدة، وبجواره جلست المرأة التي تعيش في مدينة مزدحمة، ولا أدري ماذا أقول أيضاً، وهذا غريب، إذ كيف سُمح لهذه المرأة أن تجلس في مكان مثل هذا مع هؤلاء الرجال. وبجوار الرجل الذي يعيش في القبو جلس الشاب الذي ينظر إلى الخلخال. وعلى الطاولة جلس السيد الكلب، أقصد وضع الخادم الذي ظل يعمل دون مقابل رأس السيد الكلب على الطاولة. وقال له: سيدي، سيدي، إن اللسان الذي في فمي يؤلمني لذلك لن أتكلم كثيراً إن سمحت لي، لأنّ الكلام يحتاج أن

أحرك اللسان الذي في فمي - وفتح فمه ومد لسانه لأقصاه - وعندما يتحرك سوف يتعب وهـ... قال له السيد الكلب أقصد رأس السيد الكلب قال: يلعنك الرب اصمت . حسناً، في المقهى جلس هؤلاء. الشاب الذي نظر إلى الخلخال حينما كان يجلس على كرسي أبيض قال: لقد رأيتك قبل الآن، أنت تشبهين شيت... قال السيد ع الذي قتل: هيا.. هيا. وفتح يديه ملوحاً: هيا.. هيا، لنعوض أيامنا. المرأة المتحمسة التي كانت تناقش كروية الأرض قالت بصوت فاضح: أنتما تريدان أن تدفعا لي أليس كذلك. قال السيد ع: لنفعل كل شيء لكن أرجوكم لا تتقاتلوا وضحك.. المرأة التي تعيش في مدينة مزدحمة قالت: أيضاً لا فائدة. وشعرت بالخجل من أنها لن تدفع معهم الفاتورة. زوجة النادل تعمل بجد، هذا أمر حقيقي وملحوظ. رجل القبو فكر في أنه لو تمكن من تسجيل كل الكلام الذي يقال حتى ذلك الكلام الخافت بين سيد ورجل في آخر المقهى لتمكن من كتابة مقال عن طبيعة المقاهي ومرتاديها. السيد ع تكلم عن سبب تجمعهم هنا بكلام ممل وغير محدد المعنى. حك أنفه وقال: أحييكم جميعاً الأموات منكم والأحياء. قال السيد الكلب وهو يشعر أنهم يتجاهلونه لأنه في النهاية مجرد رأس: إن سمحتم لي، إن تجربتي لها حساسية عالية لأني في كل الأحوال لن أموت ثانية، في الحقيقة هذا مهين للإنسان الذي يملك روحاً. أنت يا سيد ع ميت أيضاً، وأرى أن هذا خطأ واضح، هذا يصيبني باليأس - بدأ صوته يرتبك ويأخذ بالتراخي - هل تعلمون ما الذي سوف يحل بي حينما يموت هذا الخادم الملعون؟ سوف يلقون بي في الوحل، وربما أسقط على جانبي فتكون عيني في الوحل لا ترى شيئاً والأخرى تنظر إلى السماء، هكذا لمئات السنيـ... قال الخادم: سيدي.. سيدي حتى حينما أموت سوف أقوم من بين الأموات لخدمتك، لكن عليك أن تنتظرني يومين أو ثلاثة، ربما لن أستطيع أن أقوم من بين الأموات بعد الموت مباشرة، وإن استطعت لن أتأخر، لن أقول أين الماء، لا بد أن العطش سوف يهلكني في القبر، بل سأقول لأذهب لسيدي الـ.. قال له السيد الكلب: اصمت يلعنك الله. الشاب الذي ينظر للخلخال لا يتكلم، ينظر بعيداً بحزن. قالت المرأة التي تعيش في مدينة مزدحمة في نفسها: من أين يأتون بهذه الطمأنينة وهم لا يملكون المال. قال خادم السيد الكلب: سيدي إني كما قلت لك أريد أن أصمت لأن اللسان الذي في فمي يؤلمني إلا أنه يجب علي الكلام حينما تحتاجني والآن سوف أصمت لأنك طلبت مني الصمت وأنا كما

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

تعلـ.. قال له السيد الكلب: يا ملعون قرّب يدك من فمي. قال الخادم: بأمرك يا سيدي، هل أقربها حتى تلامس أسنانك أم أجعلها - ومد يده حتى لامست أسنان السيد الكلب - قال السيد ع في تلك اللحظة: لا بد أنك تريد أن تعضه، هيا.. هيا عضه عضة كلب حقيقي، اجعل عينيه تخرجان من محجريهما، وضرب كفيه وضحك. أطبق السيد الكلب أسنانه بحقد على يد الخادم لحظات. قال الخادم: سيدي إنك تؤلمني - وسحب يده بعيداً - قال السيد ع وهو يضحك: كرِرها كرِرها، لو أطبقت على يده وقتاً أطول لوقف شعر رأسه، إن في غباء هذا الخادم لنعمة، لكن أرجوكما لا تتقاتلا، ولتكن الأمور في هذا الحد. رجل القبو استغل هذه الفرصة وانسحب ليندس تحت الطاولة. قال الخادم: لا بد يا سيدي أنك فعلت هذا عامداً، لقد ذهب الألم الذي في اللسان، انظر لا أشعر بالألم في اللسان - ومد لسانه المغطى بطبقة بيضاء - لكن الألم صار الآن في يدي، انظر يا سيدي، إن الدم بدأ يخرج، لا بد من أن هذا بسبب عضتك يا سيدي، ولو بيّنت لي الأمر لطلبت منك أن تسمح لي أن أعض نفسي عنك بشدة وترتاح أنـ.. قالت المرأة بخوف: لماذا تتحدث هكذا، هل أنت مريض؟ قال السيد ع موجهاً كلامه للشاب الذي نظر إلى الخلخال: أراك لا تشاركنا هذه المباهج، هل أنت حزين؟ قال الخادم: هل أنا مريض يا سيدي؟ لأني حينما استيقظت في الصباح شعرت ببعض التوعك، لكني لم أكن مريضاً، وها أنا أستطيع أن أقفز أمامكم بكل قوة. وقفز عدة قفزات متتابعة. الشاب الذي نظر إلى الخلخال لم يكن متأكداً أهو المقصود بكلام السيد ع أم لا، قال: آه هل تكلمني يا سيد؟ قال السيد ع: نعم.. نعم. تبدو لي حزيناً، لا بد من أن تجرب بعض الأمور، وسوف تجد أنك تفوّت الفرصة على نفسك. قال شاب الخلخال: إن نفسي فارغة يا سيد، ولا أدري ما فائدة كل هذا، وكما يقول السيد الذي تحت الطاولة: كيف أكون سعيداً وما أريده لن يتحقق أبداً. فكّرت المرأة المزدحمة في أنهم يتصرفون أمامها بوقاحة وكأنها ليست موجودة وقالت: ما الذي يفعله الأولاد الآن؟ قال رجل القبو من تحت الطاولة: لا بد من وجود مكان ما غير محدود ويسمح بتحقق الرغبات المتناقضة، وهذا هو المكان الذي يجب، ثم سكت وقال: إنه الفردوس الأبدي. قالت زوجة النادل لزوجها كلاماً لم أسمعه. رد السيد الكلب: إنني في الحقيقة أختلف مع هذا الكلام الذي ينبعث من تحت الطاولة، ومن تجربتي ذات الحساسية الواضحة، حيث إنني مجرد رأس عالقة في زمان بين

الحياة الطبيعية والموت. إن العدم هو المكان الجيد، انظر إليّ الآن لو ذهبت للعدم بعد أن قُطعت رأسي لما شعرت بشيء، ولن أحتاج مثل هذا الخادم الملعون كما ترى. لأن مكاناً مثل هذا الذي تقول إن كل شيء فيه يتحقق حتى الأشياء المتناقضة غير موجود، وكيف تتحقق الأشياء المتنـ. قال السيد ع: يا لهذه النقاشات الغريبة، إنكم تثيرون غضبي. لماذا لا تبتهجون وتجربون الأمور كيفما كانت الحياة. ها أنا قد قُتلت إلا أني لم أفقد تلك النزعة القديمة تجاه العاهرات، يا إلهي ما أجملهن، وضحك. قال السيد القبو من تحت الطاولة: لم تفهم، إن هذا الفردوس لا بد من أن يكون موجوداً، ثم: كيف تتأكد أن العدم موجود أصلاً؟ قال الخادم: سيدي.. سيدي إن الدم في يدي لم يتوقف، انظر، وربما سوف أموت بسبب خروج هذا الدم، أو ربما أشعر بالدوار، وإذا سقطت في الأرض وتمددت دون قدرة على الحركة سيذهب الجميع إلى منازلهم وتبقى أنت هنا فوق الطاولة لا تجد من يحملك، وأنا أعرف أنك لا تحب البقاء هنا، لذلك إن سمحت لي أن أكتب وصيتي إن مت ولم أخرج من بين الأموات، تكون وصيتي أن يحملوك إلى حيـ.. قال السيد ع: إني أشعر بالضجر منكم، هيا.. هيا بربكم. قال السيد الكلب: اصمت أرجوك، ارحمني وتوقف عن الكلام، ولا تقلق عليّ، سوف أجد من يحملني. قالت المرأة المزدحمة في نفسها: ليس لوجودي هنا أي قيمة. قالت زوجة النادل كلاماً لم أسمعه جيداً، ولاحظ الجميـع توقف صوت الموسيقى. قال السيد ع: لا بد من أن يسكر الإنسان ليشعر ببعض البهجة، يا رفاق أرجوكم. ارتفع صوت المرأة البعيدة: أعتقد بأن هذا الوصف جيد، لأن الشمس هي التي تدور حول الأرض وبهذا يكون... قال الصوت المنبعث من تحت الطاولة: حسناً، لقد قلت كل شيء. قال الخادم: سيدي هل نذهب الآن، لقد قلت البارحة إنك تريد أن تغمض عينيك مبكراً، هل تفهم قصدي يا سيدي. الشاب الذي كان ينظر إلى الخلخال أراد أن ينصرف. السيد الكلب أو رأس السيد الكلب قال: اسمع، اسمع، لتكن هذه المرة إنساناً جيداً، إني أعفيك من كل الواجبات ولكن أرجوك أو آمرك لأنك لا تفهم إلا بالأمر، آمرك أن تدفنني أقصد تدفن هذه الرأس، إني أشعر بالضجر، هل تفهم أيها الملعون.

لماذا يتحدث الناس عن رأس كلب، ما المهم في ذلك؟

تقول بعض النسوة اللاتي عرفتهن فيما بعد -على أي حال أنا لا أصدق هذا- إنه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شاع بين الناس الحديث عن رجل نحيل يحمل رأس كلب، يمضي به في كل مكان. يُرى في الليالي المقمرة في الحقول وفي الغابات وفي الجبال، هكذا يقلن. يحفر بلا تعب، ضربات المعول تُسمع من بعيد مثل عويل ذئب يتألم. يحفر بلا انقطاع. يقول: هل أحفر هنا يا سيدي؟ لأنك يا سيدي إن لم تقل لي أين أضع معولي في كل ضربة سوف تتوسع هذه الحفرة بحدود غير واضحة، وأنا أحفر منذ ليالٍ ولم نجد ذلك المكان المناسب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مساوئ حياة سعيد عبدالله الـ ...

القسم الأول: الذي يُشار فيه إلى الأستاذ خالد الملا واستخدامه إيقاع الرومبا إشارة هامشية.

سعيد عبدالله الـ++ـي الذي لم ينم على سرير حتى تلك الليلة التي نامها في القاهرة على سرير حقيقي، والذي له رأس كبير مثل بقرة، وبمجموعة من الأخطاء اليسيرة من بعض الموظفين يمكن أن يُسجل في إحصاء الثروة الحيوانية، أصبح متزوجاً الآن. تزوج مرة أخرى. حينما وُلد أواخر الثمانينيات في أيام الصيف الجافة التي تُرى بها أنثى الوزغ أعلى جدار البيت -المستأجر- من الداخل. فكر الأب أن يسميه مبارك، أمه المترددة التي لفته بقماط أصفر مشرق قالت: مرزوق. أمه التي ذست مئة وخمسون ريالاً ملفوفة بمنديل أبيض في يدها، ثم هي دَستها تحت وسادة ذات غطاء أبيض -غطاء أبيض بارد مطرز برسومات ورد الجوري الأحمر وأغصان خضراء وجملة «صباح الخير» بخط عربي مشوش بسبب عدم دقة حركة الإبرة في يد الحائكة التي طرزت الغطاء- أنامته على ظهره فوق مفرش مبطن بقطن صناعي. في المساء يجيء عبد الله ليضع وجهه بالقرب من وجه سعيد، يضحك ويَحل رباط القماط ثم يخلع ثوبه، ثوب أبيض بياقة كبيرة قوية، في أيام الشتاء يضع وجهه بالقرب ثم يخلع جاكيتاً رمادياً خفيفاً بأزرار سوداء مخضرة ويخلع ثوباً أسودَ بياقة قوية وجوارب سوداء. بعد ذلك لم ينم في هندول-أهكذا تسمونه؟- عُلقت أعلاه نجوم ودببة قطنية ملونة، مع الأم على الأرض نام. لم يجلس في مشاية تُصدر عنها موسيقى أعياد الميلاد. على ظهره أنامته فوق مفرش مبطن بقطن صناعي. في منتصف التسعينيات جلس على كرسي خشبي جُلّدَ ظهره بلاصق أحمر، وأرخى ذراعيه على طاولة تقشر طلاء سطحها في ابتدائية معاذ بن جبل. في تلك الأيام القديمة جلس في مؤخرة الفصل بجوار لوحة خشبية مزينة بإطار ذهبي لامع وغُطيت بقماش من المخمل الأسود ألصق عليها عشرة من حروف الهجاء التي صُنعت بتعجل من ورق مقوى ملون أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر وفي السطر الثاني ألصقت الأرقام من الواحد حتى العشرة ١ ٢ ٣، ٤ ٥ ٦، ٧ ٨ ٩، ١٠ كل ثلاثة أرقام

لونت لوناً واحداً، ثم أخذ رقم عشرة اللون الأصفر الباهت. لأنه خاف أول الأمر، لم يجلس في غرفة الوكيل على الكنب الجلدي الأسود، وقف خارج الغرفة. في أيام أخرى جلس على الخشبة الملساء التي أسندها الحلاق فوق ذراعي كرسي الحلاقة، على خشبة وضعها مقبول الهندي الذي قد يمضغ التنبول الآن ويبصق لعاباً أحمر، والذي زين رفوف الصالون الخشبية بخمس علب من صبغة الشعر Bigen Men's الرخيصة، وزجاجات كريم كازانوفا، ومجموعة من علب أقنعة الوجه النسائية بعد أن طمس وجه المرأة بقلم أسود، وبجوار الباب غلق تقويماً ورقياً بصفحات كبيرة، إلا أنه تقويم منتهٍ منذ سنة على الأقل. في المسجد جلس جوار أبيه ولم يصدر صوتاً. في البيت لما علقت الأم المذياع أعلى مغسلة المواعين لتسمع إذاعة القرآن، تمدد على ظهره ورفع قدميه على رف طاولة التلفاز، حتى نعس. لما رفع الأب صوت مذياع السيارة كان يجلس في حوض السيارة. في كابينة الاتصالات الضيقة الكئيبة لم يجلسا، واقفان تكلما في سماعة الهاتف. لما لعبوا كرة القدم على الإسفلت لم يجلس، قال إنه مثل علي يزيد يهجم حتى يغطي دم الرعاف أعلى قميصه، لكنهم أوقفوه حارساً بين فردتي حذائه. في المدرسة جلس تحت النافذة على كرسي جديد مطلي بالأخضر الناعم، في ابتدائية معاذ بن جبل، في غرفة المرشد الطلابي لم يجلس، وقف ليُضرب بعصا الخيزران، بعد أن طرده المدرس الذي قال له: الله يلعنك، غرفة المرشد. وجذبه من قفا ثوبه الأبيض ذي الياقة القوية. في حوش الغنم لما اشترى أبوه ذبيحة، أراد أن يتذوق طعم الماء في الحوض الحديدي الصدئ المعد لسقاية الغنم، جلس على ركبتيه وبعد ذلك بصق. في الحي لما جاءهم محمد الـ+ +ـي راكضاً يقول إن أمريكا انهارت، بعد أن شاهد خبر أحداث سبتمبر على قناة الجزيرة، لما جاءهم منتصف العصر كان يجلس على درج دكان الباكستاني ياسين بقوش ولا نعرف له اسماً إلا هذا اللقب. ياسين بقوش الذي إذا غضب يقول: آلن بوك، وينهض من كرسيه. لما صار يقدر أن يسرق مفتاح سيارة الأب لم يجلس في حوض السيارة، جلس على كرسي السائق في هايلوكس موديل 98. في تلك الأيام سمع فهد عبد المحسن (انثري دمعك على الماضي السعيد)، وسمع عبد الله السالم (أميل للعزلة وأبعد عن الناس). في توقيف المرور جلس بتحفظ وريبة، شم راحة الدخان الكثيفة، أو تمدد على فراش رديء نام عليه البارحة باكستاني دهس دون

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

تعمد طفلاً أردنياً نُوّم في العناية الفائقة. في ثانوية الـ+ + +ـي جلس على الرصيف خلف مبنى المدرسة ليدخن. لم ينم على سرير حتى الآن، حتى عند خالته نام على الأرض، ولا يعلم أنه سوف ينام على سرير خشبي حينما يسافر للقاهرة. المرة الأولى التي سافر بها جلس على أول كرسي خلف سائق باص النقل الجماعي، لكن السائق قال له إن هذه الكراسي مخصصة للعوائل. في مطعم البخاري جلس على المصطبة المفروشة بزل أحمر مزخرف بالأسود والأخضر الزيتي والبرتقالي، الفتى الأفغاني الذي يباشر الزبائن قرّب لهم المروحة، دجاجة على الفحم حُرق معظم جلدها، نفرين رز بخاري، شرائح بصل أبيض، قارورة شطة. لم يجلس على كرسي الحمام، في الحمام يقرفص ويحزق. جلس على كرسي تلِف قماش مقعدته وظهرت أجزاء من بطانته الصفراء، جلس على هذا الكرسي ليلتقط له موظف التسجيل في إدارة الأحوال أكثر صورة لا تشبهه، إذ بدت مثل صورة شخص جائع. في المقهى يطلب معسل عنب توت ويجلس على طراحة بالية، ذات رائحة بولية، ويسند ظهره لجدار كُتب عليه بخط أسود عريض ظاهر (أبو عذاب - ارجع فهد 6\ 7) بخط خفيف مُحي بعضه (شيطو.. ماميت مـ؟ - s.a.m .... كامري 2004). يوم الجمعة لم يجلس في المسجد، يصل مع آخر الخطبة الثانية، ويقف منتظراً مع المزدحمين، بعد التسليم يقف لينظر الفُرج بين الصفوف ويخرج. في الطوارئ لما ماتت الجدة جلس على كرسي من الكراسي الثلاث الحديدية الباردة الموصولة ببعضها. صُنعت هذه الكراسي بهذا النمط القبيح لتشعر بثقل الانتظار. حتى الآن لم ينم على سرير. لما قدم للتسجيل في جامعة الملك سعود، على المدرج جلس منتظراً، عند موظف القبول والتسجيل لم يجلس، قال أحدهما: لم يبق مقاعد إلا في كلية المجتمع وكلية العلوم، ولأن كلية المجتمع بلا مكافأة شهرية قال: كلية العلوم. في التاكسي جلس بترقب، كامري لا أدري ما موديلها يعمل عليها باكستاني آخر يتحدث بالجوال كثيراً. في الشقة المستأجرة بعمارة مخصصة للعزاب، في شقة من غرفتي نوم ومطبخ مدمج بالصالة وحمام، في شقة وُضع بصالتها موقد كهربائي أرضي، صف بجانبه: براد شاي ودلة نحاسية، كاسات وفناجين بيضاء مزخرفة، علب بلاستيكية بها شاي وسكر وهيل وزنجبيل ونعناع مجفف، في هذه الشقة جلس يدخن، ويشرب الشاي من براد صُبغ بألوان بهيجة. وفي الحقيقة لم يكن الشاي شاي ليبتون أو الربيع

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

عديمي الطعم، وهذه مسألة أخرى. في التلفاز على قناة الجزيرة، القناة ذاتها التي رأى عليها محمد الـ++ـي أمريكا تنهار، شاهد ما ظن أنه أكاديمي يقول بقدم الخطاب العنصري تجاه المرأة والرجل الأسود، منذ ذلك الإنسان البعيد. لم يتذكر محمد الـ+ +ـي لكنه تفاجأ وشعر برضى وتوتر لأن أحداً عرف ورصد هذا الأمر. في تلك الأيام سمع خالد الملا بإعجاب قديم. وأكل من ماك، لم يأكل على طاولة طعام، أكل جالساً على الأرض أو على كرسي السيارة حينما يخرج مع يوسف الـ++ـز. في الشقة التي بها موقد كهربائي أرضي شعر بحنين وضجر، في حائل كان يحضر في الاستراحات الجلسات الفنية ليرى عازف الإيقاع أبوحيدر ولا يهم من يغني أكان خالد السلامة أم فناناً مبتدئاً. أبو حيدر الذي يعزف على خمسة إيقاعات في الآن ذاته، له في ذهنه صورة ضبابية تمثل كل ما هو جميل وفائق. ما جلس خلف أبو حيدر مباشرة إلا مرة واحدة، الآن يشعر في الشقة بحنين وضجر، يشاهد أبوحيدر على اليوتيوب ويضغط زر الإعجاب. في عمادة القبول والتسجيل حينما ترك الجامعة لم يجلس، لم يجلس في أي مكتب، جلس على مصطبة خشبية ثم سحب ملفه. حتى الآن لم يجلس على أي كنبة في بنك، ولم يجلس على أي كرسي حديدي أو خشبي في بنك الراجحي. لكنه بعد صلاة العشاء التي لم يُصلِها جلس على الرصيف، متنبهاً إلى حذائه ذي النعل الخشبي الذي اشتراه منذ ثلاثة أيام. في تلك الأيام التي جلس فيها على العشب بعد أن صار يلعب في ملعب مستأجر، اشترى جاكيتاً زيتياً مزيناً بأزرار مصفرة، اشتراه بثلاثمئة ريال، لم يجلس في المحل، وقف أمام المرآة، وفي حياته كلها لم يشتر جاكيتاً أغلى من هذا. في الاستراحة على الأرض لعب البالوت ودخن. بنت الهاص، ولد الهاص، سبعة الشرية، عشرة الديمن، بنت الديمن في الأرض شايب الهاص: حكم هاص. عشرة السبيت، تسعة السبيت، ولد السبيت، أكة الديمن، ثمانية الهاص، في الأرض عشرة الديمن: لم يقل صن، قال: بس، في الثاني قال: حكم سبيت ثم مع رميه أول ورقة قال: سِرَى. وهكذا. في المساء على فراش بارد وناعم يستلقي على بطنه ويثني ساقه حتى ترتفع ركبته إلى مستوى صدره أو قريب من هذا، يشرب ماءً ويخلع سرواله الطويل، ويستلقي ثانية ويثني ساقه. في النوم لم ير نفسه جالساً على طاولة طعام منزلية رُتبت عليها الأطباق الفخارية البيضاء والسكاكين والملاعق الفضية اللامعة، ولم ير نفسه نائماً على سرير أبيض في غرفة

بنوافذ كبيرة بفندق في ميكونوس تعمل في استقباله فتاة تخرجت من قسم تاريخ الفلسفة، لأنه من الطبقة المتوسطة أو أدنى الطبقة المتوسطة، لأنه كذلك رأى نفسه في صف دراسي وقد دميت قدماه من ضرب الفلكة، ويلتف حوله الطلاب الصغار يغنون: أسود أسيود طاح بط راسه. حزن في الحلم لأن الوكيل ضربه مرة أخرى بعد أن غضب من تلك الجلبة التي أصدرها الطلاب، تلوى بعجز وخضوع محاولاً تفادي خيزران الوكيل دون جدوى. لما استيقظ جلس ماداً ساقيه على فراش بارد وناعم وشرب ماءً وتذكر أنه سمع في الحلم: أسود أسيود طاح بالطاسة. في البيت لما جلس على الأرض وشرب الفنجان الثاني قال بعد أن سمع لوماً من الأم: أسجل في كلية الفندقة والسياحة. في سنته الثانية في الكلية نام أول مرة على سرير، سرير حقيقي. حضرَ زواج عبد الله أبـ+++س ثم سافر إلى القاهرة، في برد ديسمبر نام على سرير في شقة مستأجرة بالدقي. استأجرها لهم قواد حصلوا على رقمه من إبراهيـم الأصفر، قواد يعمل على سيارته الخاصة ينقل الواصلين من المطار إلى أي شقة في القاهرة. قال لهم: هتكلف ٤٠٠ جنيه، ثم تكلم عن شقة أخرى أكثر أماناً تكلف ٦٠٠ جنيه قال: ممكن أخلصها بـ٥٥٠ جنيه. في اليوم الأول لم يسهر، مشوا وأكلوا الطعام في شارع جامعة الدول، في اليوم الثاني جلس على أريكة تفوح منها رائحة المنظفات، خجل أن يخبرهم برغبته في شرب النبيذ، كأس نبيذ حمراء زاكية، كما ظن. شرب البيرة بحماس، ثم رأى أن النساء قبيحات لأن حواجبهن اللامعة رُسمت بأقلام سوداء، النساء الثلاث اللاتي جاء بهن القواد الذي أظهر تملقاً بغيضاً. النساء اللاتي وضعن مسحوقاً أبيض على وجوههن ورقابهن. المرأة التي رأى كرشها يهتز لما صارا على السرير الذي سينام عليه فيما بعد. ورأى علامات تمدد الجلد أعلى فخذيها. لما جلس على حافة السرير ينظر إلى جواربه السوداء التي تصل إلى منتصف الساق، جوارب سوداء مطاطية، كانت المرأة التي تعرق أسفل ظهرها تمسح إبطها بتململ. لأنه شعر بالبرد جلس على الأرض، أمامه أكياس الطعام الذي طلبوه وتلفلف بالبطانية الحمراء المزينة برسومات لنمر مرقط، دخن، وشعر بالضجر والذنب. لن أجرب في الليلة التالية. رأى صديقه الآخر يخرج عارياً صاخباً. قالت المرأة الأخرى كلاماً فاحشاً وهي تعيد أحمر الشفاه إلى حقيبتها، وأشعلت سيجارة من علبة السجائر على الطاولة أمام الأريكة التي تفوح منها رائحة المنظفات. لما انتهى كل شيء ندم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وشرب بيرة. في اليوم الثالث جلسوا على طاولة طعام، طاولة طعام حقيقية. لما أذن الظهر لم يسمعه، لما أفاق أفاق على ألم حاد في الحلق، وقال إن الجو بارد جداً. في التاكسي جلس خاملاً في المقعد الخلفي، في المطعم جلس الثلاثة على طاولة طعام في مطعم سـ+رة، بعد أن نزلوا من التاكسي في صلاح سالم، جالس على كرسي خشبي ناظراً إلى شجيرات خضراء بعيدة، لم يجد في نفسه رغبة الأكل، تردد في شرب الماء لأنه عرف مرارةً في حلقه. الهواء البارد يمر لطيفاً، قال له: نشتري بنادول. أكلا لحماً طيباً، أما هو فما يدري. لما حان وقت المغرب سمع صوت خبط يد المؤذن على الميكروفون ثم سمع صوت الرجل يبتعد. في الشقة على الأريكة التي تفوح منها رائحة الدخان ورائحة زبدية، تمدد وثنى ساقيه جاعلاً قدميه تحت مؤخرته، لأنه وجد ألماً في مفاصل الركبتين، والصداع في رأسه. عرف الآن أن الزكام بدأ منذ الصباح، في تلك الليلة والليالي الأربع التالية لم ير أي حواجب لامعة مرسومة بأقلام سوداء ولم ير علامات تمدد الجلد. سَمِع صوتاً يصِل إليه ناعماً مثل شعاع الشمس، سَمِع ضحكاً، نائماً على بطنه في السرير يشعر بألم في باطن حلقه، وألم في الرأس مثل طنين، وألم في المفاصل، وسخونة. ما يفعل البنادول؟ بين حين وآخر يسألانه: هل يقدر أن ينزل معهما؟ ثم يطلبان منه على الأقل أن يسهر معهما في الصالة. لما سَمِعَ الفتاة تقول: دا اتشاق وياك. وتضحك، ابتهجت روحه ورغب أن يقوم ليراها وهي تقول هذه العبارة، لكنه تثاقل أن يقوم ليتبول، ثم نام. ثم قضى ليلته التالية نائماً، وهكذا. جَلسَ في المقعد الخلفي مع القواد شاعراً بخيبة وإعياء، متجهين إلى المطار. عند البوابة رقم 4 جلسوا على كراسي مقهى كـ+د، في المقعد L 30 الذي حصل على تذكرته بسعر مخفض لأنه غير مسترد قال: المرة القادمة سوريا، كرهت مصر. بعد ذلك بأيام بعيدة، في بنك الراجحي جلس على كرسي غُطيت بطانته القطنية الصفراء الرديئة بقماش أسود، قال له الموظف: وقِّع. في البيت جالساً لما قطعت أمه البرتقال، البرتقال الذي فاحت رائحته في ملابس الأم، وسالت قطرات من عصيره على الصينية البيضاء، قال هو إنهم وجهوه للعمل بفرع موبايلي على طريق المطار. الأب الذي عدل ميلة رأسه قال: ما شاء الله، وابتهجت روحه. بعد العصر في تلك الأيام انزعج من ضغط العمل، أوراق، أوجه العملاء، نساء منقبات لا يدري أكن يضعن مساحيق بيضاء على الوجه والرقبة، شاشة الكمبيوتر، جالساً على

كرسي جيد. لكن لم يجد صحبة جيدة في المكتب. سعود صاخب ومتظاهر، يرتدي جوارب طُبعت عليها صور حيوانات داجنة. عبد العزيـز عـادي، مديـر الفرع يجلس في غرفة ذات جدارٍ زجاجي يكتب شيئاً ما، وإذا مر بسماحة يبتسم. شماغه أحمر. حارس الأمن الذي تهرأت ياقة قميصه وظهرت عليها ملوحة العرق البيضاء، لم يجلس؛ لأنه من أدنى الطبقة المتوسطة أو أدنى، بقي واقفاً. وهناك آخرون ما عرفتهم. بعد تلك الأيام جالساً على الأرض في البيت قال لأبيه الذي يشرب القهوة بفنجان مزين بنقوش ذهبية ويشعر بحاجة لدخول الحمام، قال له مبشراً: إنه سيترك موبايلي لأنه قُبل مبدئياً في تلك الوظيفة التي تقدم لها في الحـ+ـي، وظيفة إداري، إداري يجلس على كرسي أسود ثابت، ومكتب صيني مصنوع من الخشب المضغوط. فرح الأب الذي يجلس بدوره في بيت مستأجر ولم يقل ما شاء الله، قال: زين والله. قال: أظن رواتبهم على سبعة آلاف وست مية. قال الأب: ما شاء الله. في المساء قطعت الأم بسكين مقبضها أخضر تفاحاً أحمر سكري الطعم، وشرب الأب الشاي بهدوء وامتنان. بعد أن فُحص دمه وبرازه، جلس على كرسي أسود ثابت ومكتب صيني في الدور الأرضي في إدارة قا+++يز. قبالته جلس على مكتب صيني آخر رجل بلغ من العمر نهاية الخمسين، لم يعمل شيئاً. في أيام تالية استغرب لأن الجميع تمتعوا بلا مبالاة غامضة، في غرفة التوقيع وقَّع واقفاً، لم يكن مثل توقيعه حينما جلس على كرسي بنك الراجحي. وقَّع برسم حرف عين وأغلق عليها بدائرة. في البنك جلس على طرف الكنبة الجلدية الناعمة، لأنه أراد قرضاً. الحد الأقصى، ليشتري سيارة بالقسط عوضاً عن الذهاب إلى العمل بسيارة الأب، وللزواج فيما بعد. في المساء سانداً ظهره إلى مساند صلبة وثقيلة، قال نستقدمها إثيوبية، الأم قالت: إن هؤلاء السود لا خير فيهم. وقالت بعد أن مدت كاسة الشاي الأحمر: إنهن يقتلن الأطفال. لما جاءت التي ظنت الأم أن رائحتها ستكون ثقيلة، عبر الصالة الدولية في مطار المـ+++++دة، جاءت ترتدي ثوباً أخضر فضفاضاً ومن تحته بنطال قطني يلتصق بساقيها، تحمل شنطة سوداء في يدها وتلتفت بسرعة وحيرة. في البيت رأت الأم أن صحتها جيدة وذات جسد قوي. في الحقيقة لم يظهر عليها أنها قد تكون مريضة أو أنها قد تقتل الأطفال، وعقلها لا بأس به، إلا أنها كانت مؤمنة بإلهٍ ضُرب على قفاه وبُصق في وجهه. لما استخدمت الملح مع سائل غسيل الأواني بإفراط

قالت الأم بوضوح ويأس: ما تفهم. في تلك الأيام البهيجة كانت السوداء ترتب الكنب الجديد الذي اشتروه بـ2500 ريال، ليضعوه في الصالة. كانت روح الأم مبتهجة، وأرادت أن تعزم جاراتها ليجلسن عليه ويشربن الشاي ويرين بأعينهن. لما جلس الجميع على الكنب الذي بالكاد دخل من باب البيت الضيق، قالت الأم: نبي نصبغ الصالة وغرفة الحريم. الأب قال: تزوج يا ولد، بعد أن تردد على الطريق بين العمل والبيت المستأجر مراتٍ لا تحصى، جالساً على مقعد السائق في سيارة من ماركة تويوتا، فكرت الأم في ابنة أختها. لأنه لن يتزوج فتاة بدوية يعمل والدها معيداً في قسم الزراعة، أو يعمل في الاستخبارات العامة برتبة رقيب، ولن يتزوج فتاة بيضاء تدرس طب الأسنان، من عائلة لهم جد تركستاني قديم. فكرت في ابنة أختها، ابنة أختها تنام على سرير، أنهت الجامعـة في تخصـص اللغـة العربيـة، سوداء لكن بشرتها ليست داكنة، وترى على أنفها ووجنتيها لمعة صفراء هادئة، شعرها مجعد ويمكن إصلاحه بالكيراتين، ليست بدينة، وحينما تلبس الجينز تصير جميلة. على أي حال هي فتاة ويمكن تقبيلها، وقبل كل هذا هي ابنة أختها وتطيعها. سعيد قال إنه لا يريد السامري في ليلته، وقال إن استخدام آلة الأورق مع الطيران عمل قبيح، وتمنى لو أن خالد الملا يحيي تلك الليلة ويغني أغاني على إيقاع الرومبا، يا الله لو أن هذا ممكن. في تلك الليلة في منتصف القاعة بجوار زوج خالته، جلس على كرسي خشبي عريض مزخرف بنقوش ذهبية، يقف ليسلم ويقبض بيده اليمنى الطرف الأبيض الذي كُتب عليه بخط هازل: ألف مبروك يالخال، في حوش قصر الضيافة أشعلت نار لأجل إحماء الطيران، بعد العشاء جَلس الرجال السود صفين متقابلين، صوت المصقاع حاد ومؤثر، الرجل البدين الذي يتردد بين الصفين ليلقنهم، يأتي صوته القوي من بين أصوات الإيقاع وأصوات الرجال السود مثل قائد يوجه كتيبته قبل الموت، محركاً يديه ليستثيرهم: يهز الشطية.. ويتعطف.. وعوده زين.. وهكذا. في الفندق جلس، بعد أن خلع عنه بشتاً أسودَ مطرزاً بخيوط ذهبية. بعد تلك الأيام لما جلس في الشقة الجديدة المستأجرة لم يكن عنده أولاد وبنات كُثر مثل والده، لم ينجبا حتى تلك الليلة التي افترقا بها. مرت عليهما الأيام بهدوء ودون فهم لمعظم الأمور، جلسا على كنب أحمر مخملي في شقتهما الجديدة المستأجرة وناما على سرير عريض بأغطية بيضاء ناعمة، تُطل عليهما ثريا ذهبية كبيرة يشع منها نور ناعم،

وقفا في المطبخ، هي تغسل الأواني القليلة وهو واقف يراقب غلاية الماء الكهربائية، جلسا على كراسي بعض المطاعم، وجلسا في بيت والدها بعض المرات، جلست بمفردها في المساء، وهو لعب البالوت ولم يرد. لم تضربه بقلاية البيض الجديدة ولم يقفا على درج العمارة يتشاجران، ولم يجذبها من شعرها، وماذا نقول أيضاً. في الحقيقة لم يحدث شيء من تلك الأمور التي حينما نتذكرها نقول بانفعال: أعوذ بالله ليش؟ كل شيء كان هادئاً ويحدث بغموض غير محدد. يدخِّن وهي تراقب في التلفاز ممثلة بيضاء رقيقة تؤدي دور امرأة عانس تكرس حياتها للعمل، على اللابتوب شغَّل: أجاذبك الهوى التي يغنيها خالد الملا ولعب البالوت، لم يكن سعيداً ولم تكن

Telegram:@mbooks90

روحه مبتهجة. أما هي فلم يكن أمامها خيار. بعد أن جلس على طرف السرير مراتٍ لا تحصى، وبعد أن استلقى على ظهره بجوارها مراتٍ لا تحصى، طلّقها. طلق ابنة الخالة، الخالة التي نام عندها على الأرض. دفع إيجار الشقة الجديدة وجلس على الأرض مع الأم التي تقطع البرتقال البارد صامتةً. لم يُجب الأب بجوابٍ واضح حينما سأله عن سبب الطلاق، الأب الذي تكلم بغضب. قال: لم أكن مرتاحاً، أو لم أحبها، أو لم نتفق، وهكذا، لم يتكلم عن ملامحها الحادة، ولم يتكلم عنها بسوء. كان شيئاً بعيداً كما ظنت الأم. في تلك الأيام لما وضعت الخادمة التي تعبد الله الذي لا إله إلا هو صينية الشاي قال إنه سوف يتزوج من الأردن. الأم التي حزنت لأن أختها لم تعد كما كانت، من المطبخ قالت: تجيب لنا النَوَر. بعد أن تأخرت معاملته التي تقدم بها للحصول على إذن زواج من أجنبية، جلس على كرسي مريح في بنك الراجحي. في عمّان جلس رفقة ذلك الرجل على كرسي خشبي مطلي بلون بنيٍ داكنٍ، في (مطعم أبو جبارة) في قسم المدخنين، وشرب الشاي. في المساء لم يلعب البالوت، جلس في منزل الأسرة التي سيتزوج ابنتها فيما بعد. أسرة كانت لي صلة بهم، على الأرض جلس بتواضع وقلق في مجلس الرجال، الرجل الذي رافقه جلس بثقة في مجلس الرجال. بعد ذلك أعد وليمة عشاء مختصرة، تزوج فتاة بيضاء لم يكن لها خيار، لم تتخرج في قسم اللغة العربية في الجامعة. من أسرة كانت لي صلة قديمة بهم من طريق أحد الأقارب هناك، ليسوا نوَراً والله. صافح الأم، هي قبلت اليد والرأس. وعندما كانوا عائدين مع كداد يتردد بين عمّان وتبوك، جلست في المقعد الخلفي متوترة من قيادة السائق ومن الحياة، وتتكلم بهمس. هو جلس في المقعد الخلفي،

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الرجل الذي رافقه بجوار السائق يزيد أن ينتهي. في تلك الأيام لم يجلسا عند الأم التي تقطع البرتقال، جلسا في الشقة الجديدة المستأجرة. الأب أعد وليمة عشاء مختصرة تكرمةً للزوجة التي ليست من النوَر. جلس في أماكن كثيرة لا تحصى، إلا أن كل تلك الأماكن التي جلس فيها تشير بشكل غير مباشر إلى أنه من الطبقة المتوسطة، لكن ليس من أدنى الطبقة المتوسطة، وقد تفهم من بعض الأماكن التي جلس فيها أن زوجته أردنية ليست من النوَر. بعد أن جلس على طرف السرير مراتٍ لا تحصى زُزِقا طفلة سمراء وولداً جميل العينين. ترددا على عمّان. ذهبت هي مع الأولاد. جلس على كرسي مكتب العمل. جلس في عزاء أبيه. جلسا عند الأم التي تقطع البرتقال فرحةً بأبناء ابنها. وهكذا حتى تلك الأيام التي مُدد بها في ثلاجة الموتى في مستشفى الـ+++++ـام، لم يستشعر البرد، في القبر مُدد أيضاً ولم يجلس.

القسم الثاني: الذي يُشار فيه إلى جماليات الأستاذ خالد الملا بقصد التأثير على القارئ.

لا يتذكر هل سمِع ضيفاً مع عبير نصراوي على إذاعة مونت كارلو أو قرأ على موقع معازف أن عظمة خالد الملا تتجسد في أصالته. خالد الملا يعتمد على تراث من الغناء العدني والحضرمي، وغير خاضع للسوق؛ وهذا ما يسمح له بالتعبير عن طبيعته الفنية، إضافة إلى ذائقته الجمالية العالية. يكفيك أنه اختار من كل أغاني فيصل الزنكوي أغنية «أما الآن» التي أصدرها الزنكوي منتصف الثمانينيات. أراد سعيد عبد الله الـ+ـي وهو يستمع إلى الحديث الطويل على إذاعة مونت كارلو عن خالد الملا أن يحفظ هذا الجزء، يريد أن يقوله لعيسى حينما يتسكعان آخر الليل وهما يسمعان «بعدت عني» بصوت الملا، سوف يوقف التسجيل ويتكلم كما لو أنه هو شخصياً من بحث المسألة، قال إن خالد الملا لا يهتم بما يطلبه السوق مثل مـ+ +++ـد، وقد يشير إلى اختياراته الأغاني ويقارن بين اختيار الملا لأغنية الزنكوي «أما الآن» وبين اختيار مـ+++++ه أغنية «وحدة بوحدة». يحكي هذا بلغة ساذجة و يتخيل نفسه ضيفاً في أستديو مونت كارلو يتحدث أمام عبير نصراوي أو كاتباً في موقع معازف. أعاد تشغيل التسجيل، التفت تجاه عيسى وكأنه حقق نصراً ما:

عرفت ليش أبوحنان عظيم. يهز رأسه معتزاً لأنه عرف خالد الملا قديماً. أما عيسى الذي لا نعرف عنه شيئاً غير أنه سوف يموت لأنه فضّل توفير مبلغ أكبر للسفر على شراء إطارات جديدة لسيارته التي تحولت إلى قطع خردة بعد حادثة سير سيئة، أما عيسى فيقول بهدوء من يريد أن يفسد الأمر: الملا عظيم لأنه يعجبك. مسح سعيد طرف عينه بإصبع ثابتة، إصبع سوداء ثابتة. تجاوز الشارع الفرعي الذي كان يريده، قال له عيسى أن ينعطف مع الشارع الفرعي التالي، وأشار بيده إلى لوحة محل التبريد والتكييف الحمراء. لوحة حمراء كُتب عليها بالأصفر: للتبريد والتكييف (مكيفات - ثلاجات - غسالات - أفران - مكانس) لصاحبه حمود العنزي. قال عيسى كلاماً لن نسمعه يطلب فيه من مبارك أن يكف عن التظاهر بنسيان حيه الذي عاش فيه، وذكّره بحادثة محرجة مرتبطة بهذا الشارع، وضحك. رد سعيد معتذراً بكلام آخر لن نسمعه، اعتذر بأنه لم ينس الحي، لكنه لم يتنبه للشارع. لما مرت السيارة بالقرب من بيت عيّاش الشيعي، لما مرت السيارة بالقرب من بيت أبيض شعبي له باب حديدي أخضر، سـأل سـعيد هـل انتقلـت عائلـة عيـاش، قال إنه يتذكر الأبناء الصغار. شياطين يا أخي. والحقيقة أن سعيداً لما رأى البيت الشعبي الأبيض تذكر الولد الصغير، ولد صغير يقف بالباب الحديدي الأخضر، كلما مر سعيد ماشياً بالقرب منه سمعه ينادي: بشن دانه. ويشير إليه. سعيد الذي يمر لم يفهم ما بشن دانه؟ لكنه فيما بعد سيفهم بغير قصد أنه يقول: بذنجانة، ويشير إليه. هذا ما تذكره سعيد حينما قال: شياطين يا أخي. أوقَف السيارة. عيسى رغب أن يشعل سيجارة، وقال إنه ربما يذهب إلى الكويت لأجل زواج مبارك ابن العمة. سعيد الذي وجدها فرصة، قال: ما شاء الله، تحسنت أموره. عيسى قال جازماً: إن مشيت معي وعد نحضر للملا سمرة. وأراد أن يقول قصة اندفعت إلى ذهنه الآن قبل أن ينزل، لعل سعيد إن عرف أن مبارك يتردد على جلسات الملا يقبل بمرافقته. قال سعيد: بإذن الله. متحفزاً قال عيسى إن مبارك حكى له أنه سمع خالد الملا يحكي قصة بحضور عبود خواجه. كان مبارك في الجالسين لما قال خالد الملا ذلك. في السبعينيات عَمل الملا في استقبال مستشفى الأ++ـي. كان الملا حينها قد أصدر ألبومين وحظي ببعض الشهرة، إلا أن الألبومين صدرا بلا صورة له على الغلاف، فما يعرف السامع من الملا إلا اسمه وصوته. يقول الملا كما سمع مبارك: تلقيت اتصالاً من ممرضة تعمل في الجناح

السادس، تسأل عن المدير المناوب. لما أجابها عَرفَت الصوت، وسألت لتتأكد إن كان هو فعلاً الملا الذي يغني؟ الملا الذي شعر برضى وقلق قال نعم أنا الملا الذي يغني وغمز للذي يجلس بجانبه على الاستقبال وأمال رأسه. الفضول والإعجاب بصوت الملا دفعاها لتسأله بوقاحة عن شكله. قال الملا كلاماً عن جمال صوته، وأشار بتردد ودون تأكيد إلى أنه أبيض وبشعر طويل. صارت تكرر اتصالاتها في أوقات مناوبة الملا. حتى طلبت أن تراه، قالت: تعال في الجناح السادس لكن لا تكلمني، تعرفني من حذائي الأسود، لأن كل العاملات في الجناح يلتزمن الزي الرسمي الذي يفرض عليهن ارتداء حذاء أبيض. الملا الذي خاف لكنه تحمس لرؤية هذه التي تكرر اتصالاتها، قال: حسناً. ودون تردد قال للشاب الأبيض ذي الشعر الطويل الذي يناوب معه في قسم الاستعلامات، تعال أريك شيئاً. وذهب به إلى الجناح السادس، وقال له: انظر إلى من تنتعل حذاء أسودَ، نظر ولم ير إلا الأحذية البيضاء اللامعة. ورجعا إلى قسمهما، لما رن الهاتف الأسود ذو الأزرار الصغيرة، رد الملا بسرعة لأنه عرف أنها ستتصل، وقال لها: لقد جئت ولم أر أي ممرضة بحذاء أسود. ضحكت وقالت: هذا أنت؟ رأيتك، وبخجل قالت له إنها رأته من قبل في الاستعلامات وتمنت قبل أن تراه أن يكون هو، وسألته بوقاحة وعتب: ليش جايب وياك هالعبد؟ ضحك الملا ضحكاً طويلاً وهو يقلد طريقة سؤالها. عبود خواجه الذي كان جالساً يسمع الملا وهو يحكي قصته التي حدثت في السبعينيات ضحك، ضحك بصوت جهوري. هكذا قال مبارك. عيسى الذي يحكي هذه القصة جالساً في سيارة سعيد، نزل ودخّن. سعيد عبد الله الس++ي ضحك أيضاً وودع عيسى على أن يلتقيا في المساء، وإن سارت الأمور كما يتمنى، سيذهب في الشتاء إلى الكويت من طريق القصيم - الحفر، ويحضر سمرة للأستاذ خالد الملا.

فولمير بريخت أو الموظف الحكومي

لا أحد يعرف فولمير بريخت هذا الأربعيني الأعزب الذي يسكن شقة صغيرة ومتواضعة في وسط برلين إلا بوصفه موظفاً حكومياً برتبة متدنية في إدارة حكومية غير معروفة. يمكن القول دون الشعور بأي نوع من المغالطة إن فولمير هو التجسيد النهائي لفكرة كون الإنسان موظفاً حكومياً، أعرف أن التاريخ ما زال طويلاً، ومقولة «التجسيد النهائي» غير معقولة، إلا أنني أصر على صحتها. لا أقصد بأي حال أنه نموذج للموظف المثالي الذي يلتزم بمواعيد العمل في الحضور والانصراف، يعمل كل ما تقتضيه مصلحة العمل، وإن كان على حساب راحته، لا يسمح لمشاكله الشخصية أن تؤثر في مزاجه في العمل، ينفذ التعليمات التي تأتي من الأعلى وإن لـم يفهـم مسوّغها مثـل أي آلـة كاتبة تحت يد موظف سريع تعمل بجد وصبر. يشعر بالذنب إذا لم يذهب للعمل لمرض أصابه فجأة، ثم تحسن بعد ساعات. وكل تلك الأمور التي يتوقعها المدير الحازم الذي ينعزل في مكتبه. كل هذا تجسيد تاريخي هامشي للفكرة، ينتهي بالتقاعد أو بمشكلة كبيرة تحدث في العمل تدفع الموظف للتسيّب أو لفعل أشياء مضرة بالعمل انتقاماً من مديره. فولمير أبعد من ذلك، فولمير كان يرى هذا العالم مثل دائرة حكومية كبيرة، لم يفهم وجوده إلا موظفاً حكومياً. أقصد أنه كان الإنسان الموظف الحكومي -على غرار الإنسان الاقتصادي ومثل تلك التعبيرات- لم يفعل شيئاً في حياته إلا أن يكون موظفاً حكومياً، في أوقات العمل أو في أيام العطل أو حتى عندما يشرب في حانة، أو يدخن سيجارة ملفوفة يدوياً، أو يأكل عشاء الأمس وجبة غداء، أو يتكلم عن الحرب مع مجموعة رجال لا يعرفهم، أو عندما يناقش قضية أخلاقية مع زميلة في العمل، أو حتى عندما يمشي على الرصيف بملل ودون أن يقصد وجهة بعينها، لم يكن إلا موظفاً حكومياً بمرتبة متدنية.

كانت برلين نسخة رديئة من الجحيم، ولو كان جحيماً خالصاً لأمكن تفهمه بأي شكل، لكن الطريقة البشعة التي انهارت بها جمالية الأشياء، بسبب الحرب. وضعت الناس الذين يسيرون في الشارع تحت ضغط رهيب لا يُحتمل، ضغط لا يتحمله إلا

الذين فقدوا عقولهم لأنهم لا يدركون مدى فظاعة هذا الذي يحدث. إلا أن فولمير كان يستطيع أن يتفهم هذا الوضع البائس دون أن يفقد عقله. كان يرى أن الذي يحدث ليس أكثر من حتمية إدارية لا مفر من وقوعها، ويجب الاجتهاد في تنفيذها بدقة وبحسب التعليمات. لم تشكل الحرب بالنسبة إليه أي مشكلة إنسانية، كان ما يزعجه فقط أنها اعتدت عليه شخصياً حينما أعلن مدير الدائرة الحكومية التي يعمل لمصلحتها توقف العمل، إذ راح عمال قسم المراسلات يمرون على المكاتب يعلنون عن طلب المدير، بطرقات سريعة على أبواب المكاتب ودون أن ينظر أحدهم لمن بالداخل «اجتماع عام.. اجتماع عام» ولم يكن ذلك من مهماتهم الوظيفية. وما هي إلى إلا دقائق حتى انتظم الموظفون في البهو الداخلي للبناية الكبيرة المكونة من أربعة طوابق تغص واجهتها بكثير من النوافذ، انتظموا بطريقة تراتبية دون تعمد، رؤساء الأقسام في الصفوف الأولى ومن جاء معهم من موظفي مكاتبهم، ثم الموظفون الذين يلونهم في التراتبية. وكان فولمير يقف في المؤخرة على رؤوس أصابعه يقلب رأسه يميناً ويساراً ماداً عنقه لعله يرى المدير وهو يتحدث. كان الارتباك بادياً على المدير وهو يرتجل خطبته، قال كلاماً كثيراً عن صمود الجيش، يقطع حديثه تصفيق الموظفين بحماس وتأملاته في وجوههم الهزيلة. قال في آخر خطبته وكان الصوت بالكاد يصل لفولمير: لقد خدمنا وطننا بجد طوال أيام عملنا والآن جاء الوقت ليتوقف هذا العمل، هكذا جاءت أوامر القيادة. التقط فولمير شيئاً عن توقف العمل وبسرعة ضرب على كتف الرجل الذي أمامه: ماذا يقول، كيف يتوقف العمل؟ رد عليه الرجل وهو ينحني عليه ليسمعه بسبب الهتافات التي ارتفعت تمجد الفوهرر: سوف أذهب إلى دويسبورغ، وصلتني رسالة من عمتي كتبت فيها أن الأمور طيبة هناك، وعمتي لا تلقي كلاماً بلا معنى. أدرك فولمير أن العمل انتهى، وسحقته هذه الحقيقة التي لم يفكر فيها ولو لمرة واحدة، بل إنه كان يخاف من التفكير في مصيره بعد التقاعد. أقول إن هذه الحقيقة سحقته لأن كل التقدير المفترض على الناس تقديمه لموظف مثله، كل التحايا التي تلقاها في مرات قليلة ويتذكر تفاصيلها، نظرات الحسد من زملائه في العمل إذا ما شكره رئيس المكتب، وكل كلمات الامتنان من المراجعين الذين كان يخدمهم، كل هذا كان يسحق تحت أقدام العسكر الذين بغبائهم تسببوا بإيقاف العمل، ما جعله يشعر باستحقار رهيب.

منذ تلك اللحظة التي لم يعد بعدها فولمير موظفاً حكومياً بمرتبة متدنية في دائرة حكومية غير معروفة وهو يعيش حياة عصيبة، يدرك من يراه أنه مصاب بمرض عقلي. كان هزيلاً بشكل مفزع، بل إن شكله كان مقززاً تماماً، ربما لم يستبدل ثيابه منذ أسابيع. لا يتناول الطعام الذي لا يتوفر ما يكفي منه، إلا في مرات قليلة، تتعاقب عليه الأيام وهو لم يتناول إلا مخلل الكرنب المعلب في علبة وجدها على رف مطبخ الشقة التي أمام شقته، وهي لسيدة عرف من لقاء عابر بينهما أنها معلمة، وقد اعتقلها جهاز الغستابو. وكان فولمير يدخل لشقق العمارة يفتش عن أي شيء يفيده، حيث إن العمارة كانت خالية من ساكنيها بعد أن خرج من يستطيع الخروج من برلين. والآخرون إما قتلهم القصف وإما اعتقلهم جهاز الغستابو وإما يختبئون في الملاجئ. وفيما كان يفتش ذات مرة عن طعام في شقة في الطابق العلوي يسكنها طبيب مُسن مع زوجته سمع صوت انفجار عظيم، واهتزازاً سقط معه على وجهه. عرف حين نزل بسرعة أن الانفجار لم يكن إلا قذيفة هاوتزر أصابت جدار شقته. خلفت فجوة في الجدار، وغباراً رمادياً ناعماً غطى كل شيء. وبسبب هذه الفجوة لم يعد ينام في شقته. وصار ينام على السرير الخشبي للمسنة الثرثارة التي استأجر منها شقته، وحين اعتاد ذلك نقل آلته الكاتبة وأوراقه، وعلبة مخلل الكرنب التي بقي بها شيء يسير، وقليلاً من علب الفواكه المجففة، ومعطفين كان يرتديهما واحداً فوق الآخر، إلى شقة السيدة العجوز الثرثارة، عازماً الاستقرار فيها بسبب دفئها كما كان يؤكد لنفسه عندما دخلها أول مرة. كانت شقة مرتبة بطريقة أشعرته بشيء من الطمأنينة، الجدران مزينة بلوحات لسيدات محترمات، وعلى رف المدفأة منحوتات فنية خشبية وأخرى من معدن لم يعرفه، أبواب الغرف لها لون بني داكن حميم ومزينة بنقوش دقيقة بارزة يمكن تحسسها باليد، النوافذ المطلة على الشارع عليها ستائر ثقيلة وذات ألوان مبهجة. وفي وسط هذا ترى أريكة مخملية خضراء تتسع لثلاثة أشخاص، ومكتبة صغيرة بأربعة أرفف عليها كتب لم تفتح قط كما أظن. كانت قطع الأثاث موزعة بشكل دقيق جعله يشعر وكأن الشقة بُنيت هكذا قطعة واحدة ولا يمكن أن تفصل عنها أي جزء من الأثاث. كان فولمير دائم الجلوس على الأريكة الخضراء أمام المدفأة، التي لم يفلح في إشعالها إلا في مرات قليلة، إذ لم

يجد حطباً، وكان يحرق بعض الأخشاب والكتب القديمة. يجلس ويضع آلته الكاتبة على طاولة قصيرة أمامه، ويكتب. كان يكتب أشياء ينوي تقديمها لمديره بكل جدية، تصور مرة أنه اكتشف حلاً لبلادة الموظفين، لكنه أهمل هذا التصور فيما بعد، وراح يكتب عما سماه مشكلة البيروقراطية. كتب مثل هذه الأشياء في أيامه الأولى حتى انتهى الورق الذي لديه. ثم لم يدر ما الذي عليه أن يفعله بعد ذلك. في بعض المرات كان يراقب الشارع من خلال النافذة بصمت بغيض، كما لو أن أحداً ينتظر منه جواباً لأمر مهم وهو صامت. ولا يخترق هذا الصمت إلا أصوات دوي قنابل طائرات البي17، وصافرات الإنذار التي تنطلق بلا معنى. كان يستطيع إذا التفت بزاوية حادة أن يرى المستشفى الذي دُمر تماماً، وطابور البيوت التي تحولت إلى ركام. في الجهة الأخرى كان يرى مدفعاً كبيراً مضاداً للطيران نُصب وسط الشارع وحوله أكوام من أكياس الرمل، يتناوب عليه تسعة من شبيبة هتلر، وهم مراهقون متحمسون لم يحصلوا على أي تدريب عسكري. لا يفصل بينهم وبين فولمير إلا عربة الترام المحترقة، كانت الحرائق في كل مكان من برلين، وأعمدة الأدخنة ترتفع بشكل لا نهائي كما لو كانت تريد هي الأخرى أن تهرب إلى السماء ولا تعود. لم يكن هناك مدنيون يظهرون أمام مرمى بصره إلا الأموات، والذين تعفنت جثثهم على الرصيف ووسط البرك الصغيرة التي يتركها المطر، الكلاب كانت تموت على الرصيف أيضاً. كان يراقب كل هذا بلا مبالاة، ينتظر متى تنتهي الحرب ليعود لوظيفته. وفي مرات قليلة فكر في أن سكنه في شقة لا تعود ملكيتها له تجاوزٌ، وعليه أن يعتذر عنه عندما تعود السيدة العجوز الثرثارة.

في صباح أحد الأيام الباردة، تلك البرودة التي تذكرك بأشياء كئيبة، كان فولمير منكمشاً على نفسه مرتدياً معطفه، ويتغطى بغطاء صوفي ثقيل. أفاق على صوت قويّ يصله من الشارع، كان صوتَ قرع جنود فرقة مشاة ميكانيكية تابعة للجيش السوفييتي تعبر الشارع أمام نافذته. رآهم من خلف الستائر يمشون بثبات وحزم، وينشدون. عرف أن برلين سقطت أخيراً في أيديهم، أسرع للمرآة الكبيرة في غرفة السيدة صاحبة الشقة والتي تعلو منضدة الزينة، ووقف أمامها ليهذب منظره. كانت لحيته كثة وقذرة وشاربه طال حتى غطى شفته، عيناه غائرتان ومحمرتان ويبدو

أنهما مصابتان بالتهاب حاد. مسح وجهه بيديه بعد أن بللهما بلعابه وضرب معطفه في الأماكن المتسخة، حتى ظن أنه فعل أفضل ما يمكن في هذه الظروف. خرج إلى الشارع وكان الجنود يمرون من أمامه ولا يلاحظ أحد وجوده. راح يمشي بخطوات سريعة ليحاذيهم، وقال لأحد الجنود حين صار بجواره وهو يمشي: أنا موظف حكومي، عملت لوقت طويل وأستطيع أن أعمل معكم، لا أعرف كيف أستخدم السلاح، لكني أقوم بأعمال إدارية. أشار له الجندي محركاً يده كما لو كان يهش ذبابة وتفوه بكلمة لم يفهمها فولمير. توقف ثم عاد يكلم جندياً آخر: أجيد الكتابة، اختبرني. أرجوك يا سيدي. نظر إليه الجندي وفولمير يعيد عليه: الكتابة، ويحرك أصابعه للأسفل كما لو كان يطبع على آلة كاتبة. صوب الجندي سلاحه وهو يسير على صدر فولمير الذي تراجع ببطء وهو يرفع يديه مستسلماً.

فن اختيار منزل لا يمكن للأمريكان قصفه

(أ)

في الساعة التاسعة أو الحادية عشرة تحس بهواء المكيف يحك جبهتك كلما تحركت موجة الهواء للأسفل، بحركة نمطية هادئة. هواء منعش وغامر. تجلس لتشرب الشاي برخاوة مفرطة، ونسيان مريح للزمن. أشعِل سيجارة إن كنت مدخناً، لا عليك، إن حافظت على تدخين عدد محدود من السجائر لن تصاب بسرطان الرئتين. وفي بعض الأحيان لن تصاب بسرطان الرئتين ولو مع تدخين عدد غير محدود من السجائر - لاحظ أن السرطان يُعرّف بأنه انقسام خلوي غير محدود- تشرب الشاي، وتمد ساقيك بعد أن شعرت بتنمل وانقباض. مطمئن أن ابنك في غرفته بسبابته الطرية يقلب اليوتيوب بجوال أمه، لكن ابنك هذا في غرفته يعبث بماكينة الحلاقة التي اشتريتها من أمازون شبه جديدة، وربما جز بعض شعره وبكى. تلوم زوجتك وأنتما مستلقيان على السرير، قالت لك: إنها تريد أن تنام لكنها كانت تريد أن تقول إن الموضوع لا يستلزم كل هذا، وفيما بعد تحلق لابنك شعره بتساوٍ. تشرب الشاي الأحمر بكأسة ليس لها يد ، تتذكر أنك رأيت مثل هذه الكاسات في مسلسل الحيالة وأعجبتك، لكنك متوهم، في الحيالة شرب دواس بن علف الشاي الأحمر في مقهى النوابغ بكأسة ذات يد. يحيى الشهري - يزعجك ضيق سروالك الداخلي - يمرر كرة بعرض الملعب على القناة الرياضية الأولى، إذن ليست الساعة الحادية عشرة كما توهمنا نحن أيضاً. تفكر: هل يمكنك الخروج إلى الاستراحة، تأخر الوقت، أو أن الرخاوة المفرطة وبطاقة دعوة الزواج التي طرحتها عند قدمك بعد أن قرأتها تمنعك من التفكير في الخروج، لا بد من أن تنتظر زوجتك لتوصلها إلى قاعة الأفراح. زوجتك التي تستشور شعرها الآن وتنتظر رد أختها على الواتساب. بطاقة بيضاء بإطار فضي لامع، بحروف بارزة: يتشرف العميد الطيار... أبناء المرحوم الشيخ قبلان... بدعوتكم لحضور حفل زواج ابننا المهندس بدر... على كريمة اللواء محسن... في الطريق قل لها أن ترجع مع أخيها أو أن تتدبر أمرها. أبو سعود الذي يمسك جواله الآن ويقربه لأذنه، أذنه التي نما على جلد غضروفها

شعر قبيح المنظر، وامتلأت بالشمع المتجلط، يطلب منك أن تحضر للاستراحة لأن الليلة حامية. العشاء سمك سيجان مقلي ورز أبيض. أنت تعرف لماذا يحرص على دعوتك؟ يريد أن يعوض خسارة البارحة، يشعر بمرارة لا تظهر، لو أن الحضري عبد الرزاق لم يقل له: يا غشيم ضيعت الكبوت(2) ولم يضرب الورق بالأرض ربما لن يشعر بالمرارة التي لا تظهر، ولن يُذكرك بالسيجان المقلي. لذلك لا تلعب، وقل له إنك لا تلعب ضد مبتدئ. أبو سعود ضعيف عقل، أو هكذا يبدو. والله إن في عقله شيئاً، لكن لا أستطيع تحديده. لا يبعد أن يكون مثل معرّض - وهو من أخوال جرير - حينما غزا إخوته وخلّفوه عند أهلهم، قالوا له: تكون عند نسائنا حتى لا يسبين. فلما ذهب إخوته أتى النساء وأولادهن، فأتى بهن بئراً غير مطوية واسعٌ أسفلها ضيق فمها، فألقاهم فيها. وأخذ صفيحة من الحجارة وأغلق بها فم البئر. ثم اتبع إخوته فلما لحق بهم، قالوا له لم تركت نساءنا، فأعلمهم خبره. فرجعوا فأخرجوهم وقد مات بعضهم. وكاد بعضهم يموت من الجوع والغم. أبو سعود الذي تجلط شمع أذنه ولم يفعل له الدكتور في عيادة الأنف والأذن والحنجرة شيئاً سوى أنه أعطاه قطرة مذيبة وقال له: تعود إليّ بعد يومين أو ثلاثة، نسيت. أبو سعود هذا لا يبعد أن يكون مثل معرّض إلا أنه لن يُقاتل، وفي بعض المرات حينما ينزعج من غباء بعض الكلام الذي يسمعه في الاستراحة وتتعرق كفه ويشعر بعجز عضلاته عن حمل وزنه الزائد، يقول سؤاله الاعتراضي الأبدي، الذي وُجد مع أول موظف بيروقراطي تسلّم أجرته: إذا انقطع الراتب كيف نعيش؟ يلفظ «نعيش» بهدوء وثقة من أفحم ستة وثلاثين عالماً من علماء الشيعة والجهمية والمعتزلة وخمسة من عوام السنة ونسيت من أيضاً. لكنه لن يُقاتل، وإذا طُلب للتجنيد الإجباري - وأنا أتخيل هذا من عندي لأن التجنيد الإجباري لم يُسَنّ حتى الآن - سوف يستخرج تقريراً طبياً يثبت أنه يعاني الروماتيزم، وزيادة الوزن، وضيقاً في التنفس، وصلعاً، وتصلباً لويحياً، وبهاقاً، وزوجة غير متفهمة. يجلس أبو سعود في الاستراحة. هو شيخها في الحقيقة، من اتصل بك وقال لك سمك سيجان؟ من يشتري السكر والشاي؟ يشتري البن المحموس من محمصة المرواني؟ من جدد اشتراك bein sports من طريق شخص كويتي على الرغم من أنه لا يهتم بالكرة؟ اشترى أوراق لعب البالوت، هي نفسها الأوراق التي

خسر بها البارحة. أبو سعود كريم، مهما قلنا إلا أنه كريم والله. إذا انتهت الأموال المخصصة للاستراحة لا ينتظر، يشتري كل ما يلزم من مرتبه الذي يستلمه آخر الشهر ويقول: كيف نعيش دونه. أبو سعود الذي خرج من منزله منتصف العصر، الذي أنجب من زوجته طفلهما الأول بعد ثماني سنوات من الزواج، أبو سعود الذي باع أرضاً له بأربعين ألفاً، ترك تشجيع الاتحاد من أيام الحسن اليامي، وإذا شاهد لاعباً اتحادياً أسودَ على القناة الرياضية يسأل هل هذا حمزة إدريس؟ بعد مشاهدة المباراة وبعد العشاء وبعد كأسة شاي أحمر تستطعم به حلاوة السكر، يجادل حول أي شيء يُقال. يقرأ من حسابه على تويتر بعض الأخبار الغريبة ويعلق عليها، ثم يقول: لا.. لا.. طلع خبر قديم. ويشعر بالحرج، وعجز عضلاته. عبد الرزاق الحضري يعارضه في كل كلمة يقولها، لأن أبو سعود لن يُقاتل حينما يُسخر منه، بل يصبح مضحكاً. يحمر وجهه الأبيض، ويحرك يديه، وتخرج بعض قطرات بول لا يدري عنها، يغضب ولا ينتفخ، نعم، لا ينتفخ. يرتفع صوته ويردد كلامه مقاطعاً وعبدالرزاق يضحك ويقاطعه ويرفع صوته ليغضبه. ولا تعجب من قولي لك إنه لا ينتفخ ولا تظن أنني أبالغ، لأنك في حياتك لم تر من ينتفخ. حسناً، البارحة أو قبل البارحة لعبنا صكة بالوت، عبدالرزاق الخسيس مع أبو سعود وأنا مع الدكتور، أبو سعود الذي يلعب البالوت بأوراق لعب هو اشتراها تسبب في إضاعة كبوت، لأنه لم يلعب إكة الديمن التي يمسكها بأصابعه القصيرة المدببة. الحضري عبد الرزاق انفعل وقال: يا غشيم ضيعت الكبوت، وضرب الورق بالأرض. وتعلق - كلاهما جالس - بأبو سعود حتى طرحه على ظهره، وركب فوقه وهو يقول له: العب أكتك العب أكتك، أنا والله ضحكت. أبو سعود يتقلب مثل أسد البحر محاولاً النهوض، لم أقل مثل فقمة، بل مثل أسد البحر. حينما أطلقه عبد الرزاق لم ينهض، شعر بمرارة لا تظهر، وعجز عضلاته عن إنهاض أسد البحر. لكنه لم ينتفخ، والله أنا رأيته. لم ينتفخ مثل ابن صياد، ابن صياد الذي همّ أن يأخذ حبلاً ويعلقه بشجرة ويخنق نفسه مما يقول له الناس. ابن صياد الذي استوحش منه أبو سعيد الخدري، ابن صياد الذي اختفى يوم الحرة ولم يره أحد أبداً، ابن صياد هذا انتفخ حتى سد الطريق حينما غَضِب من ابن عمر. نعم، انتفخ حتى سد الطريق. على أي حال، أبو سعود لو انتفخ لن يسد حتى حلقة الباب؛ لأنه ضعيف عقل، وأنا أبغضه بعض الشيء؛ لأن عجزه يستفزني، لم أظهر له هذا البغض، لكن لا شك أنه لاحظ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تململي لما طلب مني أن أشرح له طريقة تحويل الفلوس على تطبيق الأهلي موبايل. لم يُفلح ولم يحذف التطبيق. قلت الفلوس لأني تذكرت الآن أنه حتى الصف السادس كان لا يقول ريالاً، يقول: عطني ستة فلوس.. خمسين فلوس. ولا شك أن في هذا إشارة إلى نوع من العته غير الملاحظ. أبغض أبو سعود بعض الشيء لأنه أيضاً يَظهر في هذه القصة ساذجاً، ثقيلاً، غير مدرك لسياقه التاريخي ولا يعرف شيئاً عن طبيعة الروابط الاقتصادية الاستعمارية، ولم يطور خوفاً غريزياً من طائرات سلاح الجو الأمريكي. وربما طور شيئاً من هذا الخوف لكنه لا يظهر في هذه القصة، لا أدري والله. ولعلي أبالغ في كل هذا، أو أن شعوراً بالحسد دفعني لبغضه، لأن جلسته مرغوبة، رجل طيب وصافي. وتعب حتى صار مخرجاً في الإذاعة. لم يعمل مذيعاً، عمل في الإعداد وبعض الشؤون الإدارية ثم بعد ليالٍ كثيرة صار مخرجاً. أخرج برامج لم أسمعها، ربما كانت جيدة. لكن على الأغلب أنها من تلك البرامج الإذاعية التي تسمعها ولا تدري ما دور المخرج فيها. وربما استضافوا مرة في برنامجهم مفكراً ليبرالياً محترماً، شديد النباهة، كان في الأصل رئيس بلدية، رئيس بلدية لم يطور خوفاً غريزياً من طائرات سلاح الجو الأمريكي. شرب كوب الشاي الذي قُدم له في الأستديو، شاياً أحمر دافئاً مخلوطاً بفاكهة البرغموت، حين استطعم نكهة البرغموت تذكر أياماً صيفية لطيفة وصورة ضبابية لمكتبة. وأثار في تلك الليلة هذا السؤال اللطيف: لماذا لم تفكر عاتكة في صناعة القنبلة العنقودية؟ بصوته المتحمس وبلسانه الذي لصقت به رائحة البرغموت وبعد أن قاطعه المذيع مرة مشيراً بيده، حكى رئيس البلدية قصة ضعيفة السند عن عاتكة بنت عبد المطلب، قصة عادية، إلا أن المفكر شديد النباهة رئيس البلدية استدل منها على تخلفنا. وقد أعجبني هذا الربط جداً، وقد حكى رئيس البلدية أن عاتكة رأت رؤيا أفزعتها. رأت راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح وصرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، واجتمع الناس إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم. ثم اعتلى ببعيره رأس جبل أبي قبيس فصرخ، ثم أخذ صخرة فأرسلها - كرر الأستاذ الليبرالي المحترم شديد النباهة كلمة صخرة مرتين أو ثلاثاً ودفع يده - فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت، فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلته منها فلقة. قال رئيس البلدية: هذا العرب هذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العرب. تبسم الذي فاحت من فمه رائحة البرغموت وأحس بخفة ونشاط لأنه انتصر لرأيه بهذا الربط الدقيق بين افتضاض الصخرة والقنبلة العنقودية: هذي هي القنبلة العنقودية. لم تفكر عاتكة في صناعة سلاح مثل هذا الذي رأته. خافت أن يتهموها. ها.. نخاف من العار والسمعة، ما نفكر. ثم تكلم عن جوهر العرب وهذا الكلام. لم يقل في كل كلامه إن العرب لا تفهم هذه القوة التدميرية الهائلة التي لا يحتاجها إلا مستعمر. أتعرف قصة أحمر؟ قُتل أحمر- وهو من بني عدي بن النجار - رجلاً من أصحاب تُبع اليماني الذي نزل بهم في يثرب، فاقتتلوا، فكانوا يقاتلونهم في النهار، ويقرونهم في الليل. والله يقرونهم في الليل. طيب، كيف تقري من نزل بك إذا أنت ألقيت عليه قنبلة مثل تلك التي نزلت على رأس السيد فوجي في هيروشيما؟ أحمر لا يفهم هذه الرغبة في قتل الذين لا يبرزون لقتاله، هؤلاء الذين يمشون في الشارع ويذهبون للبقالة، ويضحكون في المساء على رصيف النهر. على أي حال لو سألت أبو سعود عن عمله في الإذاعة لن يتذكر هذا البرنامج وربما ينكره، ويقول لك إنه يعد برنامجاً ضخماً - غالباً قال ذلك قبل كل البرامج التي أخرجها في الإذاعة - هل قلت إنني أكره أبو سعود؟ لعلي بالغت، أو كنت في مزاج حاد حينما قلت ذلك، أبو سعود طيب. ويحزنني أن برامجه الإذاعية لا تشتهر، لكن في الحقيقة أنا أستغرب كيف لم يطور خوفاً غريزياً من سلاح الجو الأمريكي وقد كان منزل حسين كراد الذي قُصف لا يبعد عنه إلا ما يقارب سبعمئة كيلومتر. مسافة ليست بعيدة بالنسبة إلى مقاتلة مثل النايت هوك.

(ب)

حسين كراد، مثل فاضل عباس مهاجر. مهاجر عراقي. ترك العراق واستقر في ألمانيا، وبروكسيل وأظن في آخر أيامه عاش في نيويورك. نام في الطريق، ثم في شقة من غرفتين وحمام مشترك، ومرة نام في المطبخ. قرأ روايات حسن مطلك، ورواية بيرة في نادي البلياردو بطبعتها الإنجليزية. وكتب الشعر: فتاة غجرية، الليل للأنبياء.. وهكذا. أكل في مطعم يديره حضرمي اسمه بَكران. يشرب، وإذا سَكِر هوّس وخبط الأرض بقدمه. قبل أن يهاجر أصابه اضطراب نفسي غير مشخص بعد أن رأى جثث الأطفال المتفحمة في ملجأ العامرية، قصفه الأمريكان بقنبلة ذكية، نعم ذكية.

وظن أنه محظوظ بعض الشيء لأن بيتهم لم يتضرر في القصف الذي رافق عملية عاصفة الصحراء، وكذلك لم تتضرر شجرة قلم طوز التي تقف منتصبة في حوش البيت. الملابس التي نشرتها الأم في حوش المنزل لم تتأثر، لكن روح الأم تأثرت. حسين قال لأخيه إن الظروف تتحسن. أخوه لم ينتظر، وشنق نفسه على الشجرة. لم يكتب رسالة، ولم ينم. مشى بسكينة ورحمة، وقف ينظر في الملابس المنشورة على الحبل، هذا سروال حسين يتموج مع الهواء البارد. ليلة من ليالي شباط. ليلة ساكنة، لأن طائرات سلاح الجو الأمريكي لم تعد تحلق هنا. أخذ يجمع الملابس المنشورة على الحبل ورتبها فوق مشمع كانت الأم تجمع فوقه الملابس، جمع المشابك الخشبية. دخل البيت بسكينة. عاد وسط الظلام والبرد، معه كرسي خشبي وسكين، برحمة وحزن قطع حبل نشر الغسيل. حبل قوي وجيد. يسمع صوت محرك سيارة، ويرى غباشة بعيدة من نورها. لم يتكلم، ولم يكتب رسالة. نظر إلى ملابس العائلة المكومة فوق المشمع، ألوان الملابس بهتت بعض الشيء، تنبه إلى تراب فوق المشمع، ومسحه بيده. ركز الكرسي الخشبي في الأرض، ربط نهاية الحبل في جذع الشجرة، وصعد فوق الكرسي. مد الحبل من فوق الغصن. عقد العقدة، أحس بأن الظلام مزعج، والبرد ثقيل. أدخل رأسه في حلقة العقدة. توثق منها. أخرج رأسه من حلقة العقدة ونزل، تناول من بين الملابس التي رتبها فوق المشمع كنزة صوفية رمادية تنسلت بعض خيوطها، السكون ثقيل. لبس الكنزة، وصعد فوق الكرسي، أدخل رقبته في حلقة العقدة، أراد أن يفكر في شيء، برحمة نظر إلى باب البيت ثم أغمض عينيه. انسحج جلد رقبته، رفس بعض الرفسات، ومات للأبد. تمايل جسده بعض الشيء مع الهواء البارد، ولم يشعر بالبرد ولا بثقل الظلمة ولم يسمع صرير صرصار الليل. مع أذان الفجر، رأته الجدة واقفاً يتمايل، ولم تتوثق مما ترى، قالت له أن يدخل حتى لا يُمرضه البرد. في الصباح قرر حسين أنه لن يعيش في هذا البيت، هذا البيت الذي رأى فيه أخاه يتطوح فوق شجرة. حسين الذي لم يبق له من والده إلا ساعة بسوار حديدي مذهب، وبدلة ارتداها الوالد في يوم زفافه، ومشهد رديء من ثلاث ثوانٍ يظهر فيه الوالد متردداً في فلم تسجيلي عن انتفاضة ٩١. قال لأمه إنه سوف يهاجر، لم تتكلم. جلست بخشوع وصمت متربعة في الصالة، المروحة تدور فوقها برتابة. ضوء الشمس ينزل على شعرها ليظهر له لوناً أفتح من لون

الخُصل التي في الظل. الأخوات وأبناء العم تكلموا بشفقة ظاهرة. هاجر، ولا أدري هل خرج إلى الصحراء السعودية في الليل تجاه مخيم رفحاء، أو خرج إلى الأردن. في تلك الأيام أكل في مطعم بَكزان، وتعرف إلى مصري من بورسعيد يُسهل كل الأمور بالكلام. المصري الذي من بورسعيد لا يعرف شيئاً عن قاذفات الكانبيرا التي أرادت أن تستهدف مطار ألماظة بنصف طن من القنابل لكنها أخطأت وضربت مطار غرب القاهرة. لا يعرف شيئاً عن القاذفات لأنه وُلد بعد تلك الحوادث بسنوات. على أي حال، مضت أيام حسين كراد بحنين غامض، صورة أخيه، نحيل متوتر يتدلى من شجرة. لا تفارقه الصورة، حتى حينما خرج من شقة البورسعيدي وتحسنت أموره بعض الشيء، لم يطمئن. قلق، أو اضطراب نفسي قديم مرتبط بسقوط الأشياء على رأس الإنسان. يذهب رفقة الفتى النحيل الذي تدلى من شجرة قلم طوز إلى المدرسة، يعودان، يتعاركان، ويشعر بألم في كتفه. لم يذهب مع البورسعيدي إلى أي مكان. رفقة عراقيين حضر بعض العروض الموسيقية، صاحب مريم وشرب، تكلم معها عن رواية الإنسان الصرصار، أكد لها إعجابه بالفصل الأول من الرواية الذي سخر به دستويفسكي من فكرة عقلانية الإنسان، وشرب المزيد. شعر بمرارة وبطء. مريم ليست معجبة به، وجدته لطيفا وذا لهجة عراقية محببة. تعلمت منه لفظة (زِلم) ثم ذهبت، لعلها تزوجت مغربياً. الآن إذا تمدد على السرير لا يتذكرها. لم يكتب لأجلها قصيدة، كتب لأجل أخيه، لم يذكر شجرة قلم طوز وذكر النخلة. شارك مرة قبل أن يغادر إلى نيويورك في نشاط ثقافي محدود. في نيويورك تحسنت أموره بعض الشيء، لكنه حينما ظن أن الحياة طيبة، وكتب قصيدة عن المساء الجميل والسيارات الخضراء المصطفة، عن فتيات النوادي الليلية، واشترى بدلة أنيقة أفضل من تلك التي تركها الوالد، وقرر أن يفتح مكتبة مع فاضل عباس، أقول حينما تحسنت الأمور قليلاً، وظن أن الحياة طيبة، تعطل تكييف السيارة، وقصف الأمريكان بيتهم في العراق، ماتت أمه، ماتت صابرة حزينة.

(ج)(3)

الحالات التي سجلها الأستاذ فرانتز فانون طبيب الأمراض العقلية بوصفها حالات مرضية مرتبطة بالاستعمار الفرنسي للجزائر.

الحالة رقم5، مفتش أوروبي يعذب امرأته وأولاده: جاء يستشيرنا من تلقاء نفسه، مفتش في الشرطة. يلاحظ منذ أسابيع أن حالته ليست طبيعية. متزوج وله ثلاثة أولاد. يدخن كثيرا، مئة سيجارة في اليوم. فقد شهوة الطعام، ويحلم أحلاماً مزعجة كابوسية. وليس لهذه الكوابيس خصائص معينة. الذي يضايقه أكثر من أي شيء آخر هو ما يسميه: نوبات الجنون. لا يُحب أن يعارضه أحد، قال: فسّر لي هذا الأمر يا دكتور، إنني متى صادفت معارضة ما، أحسست برغبة في الضرب. حتى في خارج عملي، أتمنى أن أعذب من يعترض طريقي. أي شيء تافه يثير في نفسي هذه الرغبة. مثلاً، ذهبت مرة إلى بائع الجرائد لآخذ جرائدي. كان هنالك ناس، لا بد إذن من الانتظار. مددت ذراعي لآخذ جرائدي - بائع الجرائد صديق لي - فإذا بأحد الواقفين في طابور الانتظار يقول لي بشيء من التحدي: انتظر دورك. فشعرت برغبة في أن ألطمه، وقلت بيني وبين نفسي: لو أوقفتك بعض ساعات يا عزيزي لأقللتَ من المشاغبة بعد ذلك. لا أحتمل الضجة، في البيت أتمنى لو أضرب جميع من في البيت، طوال الوقت. بل ضربت أولادي فعلاً، حتى ابني الصغير الذي لا يزيد عمره عن سنة ونصف، ضربته بوحشية نادرة. غير أن الأمر الذي أخافه هو أن امرأتي انتقدتني ذات مساء على ضرب الأولاد، قالت لي: لقد جننت. فما كان مني إلا أن ارتميت عليها، وضربتها، ثم أوثقتها على كرسي، وأردت أن أضربها بوحشية إلا أن الأولاد أخذوا يبكون ويصرخون. فأدركت خطورة الأمر. حليت وثاقها، وقررت أن أستشير طبيباً. قال إنه لم يكن من قبل كما هو الآن، وإنه كان لا يعاقب أولاده إلا نادراً، ولا يتشاجر مع زوجته أبداً، وأن سلوكه الحالي إنما ظهرت أعراضه عند قيام الأحداث الجارية. وشرح ذلك: إننا نقوم الآن بأعمال سلاح المشاة. في الأسبوع الماضي خضنا معركة كما لو كنا ننتمي للجيش، إن هؤلاء السادة - يقصد رجال الحكومة - يدّعون عدم وجود حرب في الجزائر، وأن قوى الأمن، أي الشرطة التي أعمل بها يعيدون الهدوء إلى نصابه. إلا أن في الجزائر حرباً، والشيء الذي يقلقني خاصة إنما هو التعذيب، إنني أظل أعذب في بعض الأحيان عشر ساعات.

- ما الذي يحدثه التعذيب في نفسك؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- أتعب. صحيح أن هناك فترات راحة للمعذِبين ولكن لا أحد يعرف متى يعهد بإتمام العمل إلى زميله. ذلك أن المسألة عندنا، هل تستطيع أن تحمل هذا الرجل على أن يتكلم؟ إنها مسألة انتصار شخصي. نحن نتنافس، وتتحطم قبضات أيدينا آخر الأمر. وقد أصبحوا يستعينون بالسنغاليين. أنا أخالف أولئك الذين يعهدون بتحضير الشخص إلى آخرين. غير أن قصة زوجتي تزعجني أكثر من أي شيء، لا شك أن بي شيئاً من الجنون يجب أن تشفيني منه يا دكتور. رفضت السلطات التي يتبعها هذا المريض أن تمنحه إجازة راحة، وهو لا يريد أن يحصل على شهادة من طبيب أمراض عقلية، لذلك بدأت بعلاجه وهو على رأس العمل. واضح أن مثل هذا الإجراء ضعيف، لقد كان الرجل يعلم حق العلم أن اضطراباته ناشئة مباشرة عن نوع العمل الذي يقوم به في قاعات الاستجواب، وإن يكن قد حاول أن يلقي التبعية بوجه إجمالي على (الأحداث) ولما كان لا يفكر في التوقف عن القيام بأعمال التعذيب - لأن ذلك يعني أن يستقيل من عمل الشرطة - فقد طلب مني من غير لف ولا دوران أن أساعده على أن يُعذب الجزائريين دون أن يصاب من ذلك باضطراب في السلوك.

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

أيّام الحياة الطبيعية التي يقولون عنها

أيام موجعة مضت وأيام أخرى تعود، وكنا لا نفكر، نتكلم وننسى. تحركت تلك الظلال في أيام المطر، كنت عائداً أمشي بضجر مؤذٍ. لعلّي كنت سكران -لم أشرب في حانة ما- أو أن الأيام التي مضت وقلنا لن تعود جعلت أنفاسي تتقطع، وصارت أفكاري كئيبة. الطرقات مظلمة خالية إلّا من أكياس تقلبها الريح أمام المحالّ المغلقة وأخيلة سوداء. علبة فارغة تقرقع وتتدحرج مسرعة. سيارة يومض نورها الأحمر وميضاً محتضراً. أمشي على الرصيف بضجر، وقد خمّنت أن المطر سيكون غزيراً. الألم في عضلات الظهر، تكلم الطبيب عن حاجتي لجلسات العلاج الطبيعي. في الصباح كانت السماء صافية، الآن أرى الليل مثل أشباح متراكمة لا عيون لها. عائداً، أمشي على الرصيف أمام عمارة ما، نبح عليّ كلب بغلٌ، فقلت: سوف يهجم. وأسرعت في مشيتي ولم أركض. سمعت صوت امرأة تكلمت بغضب ثم أغلقت النافذة. لم أر أحداً يمشي على الرصيف، كما لو كنت الوحيد الذي يعود مشياً في هذا الوقت. رأيت ظِلال رجل سمين كان في الأصل ذئباً برياً. أعمدة الإنارة تهتز لأن الريح اشتدت. صوت وقع المطر على الأسقف والرصيف قوي، وأنا ضجر. لست أوروبياً ولم أسكن بروكسيل لأحمل مظلة. بلّل المطر الذي اشتد شعر الرأس وياقة المعطف الثقيل والحذاء والجوارب. الأشباح المتراكمة اقتربت وأنا أريد أن أصل. في مدخل العمارة الضيق وقفت، أردت أن أنتظر حتى يخف المطر، صوت بكاء طفل يصل متقطعاً. مدخل العمارة ضيق وعفن، رائحته مثـ... الرجل شتم امرأة(4) تقف على السلم ثم تدافعا وكأني لست موجوداً، خجلت لأني لم أقل شيئاً، أردت أن أخرج قبل أن تطلب مني مساعدة. مشيت تحت المطر الغزير، البرد يؤذي الأذنين وأصابع اليد. لم يكن مدخل العمارة دافئاً مثل شقة صغيرة بها مدفئة وسرير وطعام وملابس نظيفة، لكنه خيرٌ من المشي على الرصيف تحت المطر الذي يجعل الأرضيات زلقة. مشيت عائداً أرى الضوء الضئيل لمدخل العمارة يبتعد. دخلت في شارع فرعي، صوت منبه سيارة الإسعاف البعيد يقترب، ثم رأيت الضوء الأحمر ينعكس على الحوائط والأرضيات الزلقة وعلى وجهي وكف يدي. صوت منبه سيارة الإسعاف مثل صراخ المرأة التي يدفعها رجل على السلم. جدي لا ينزعج من المطر، ينظر للسماء، يشمر ذراعيه

وتبتهج روحه. المطر لن يتوقف. انتابتني أوهام مريرة، هل مشيت في هذا الشارع؟ وقفت أنظر إلى البنايات الكئيبة الخائبة لأتأكد، توهمت أن الأشجار هي الأخرى تمشي تحت المطر، ولو وقفت في مدخل العمارة الضيق لتتقي المطر الغزير لوجدت الحطاب. رأيت غرباناً تنظر بوجوم، كما لو كنت أنا الذي اصطادها. أسرعت في المشي، وفي رأسي صوت وقع أقدامي على الرصيف. ما هذا الطريق؟ في الشبابيك أعين تراقب. امرأة تسدل الستارة وضوء رقيق يصل للشارع من خلف الستارة. لماذا النوافذ صغيرة ولا أرى إلا الظلال تتماوج. ضجرتُ ولا أحد يمشي تحت المطر سواي. في نافذة ما صَبيان حقيران ينظران إليّ، لماذا ينظران؟ لأن المطر بلل المعطف وصار ثقيلاً؟ تمنيت أن لديّ وقتاً لأضربهما ضرباً مفزعاً، صرخت بهما لكنهما لم ينتبها، لأن الزجاج سميك والنافذة مرتفعة، وكان الصبي يبتسم ويشير إلى البرق الذي لمع الآن في السماء، لمع من بين رؤوس الأشباح المتراكمة. مشيت بجد، في الأزقة الجانبية أرى ظلالاً تتموّج على الأبنية. رأيت ظل رجل بعيد يصطلي بالنار، وقلت في نفسي هذا بواب، وأنا لست بواباً. ومشيت دون توقف. في العمارة المقابلة غرفة أطفئ نورها. تحت السيارة بركة من ماء المطر الذي توقف وقطة تموء بفزع وتنظر. ابتعدت عن السيارة. في الشقة التي أطفئ نورها عجوز قديمة عاصرت الحرب العالمية الثانية ولم تتكلم منذ يومين، الآن تحلم أنها في الجنة التي انتظرتها منذ انتهاء الحرب، سمعت أن الجنة ستأتي بعد سقوط جدار برلين، ثم تكلموا عن مواعيد أخرى. تحلم ولا تدري أنها سوف تموت بعد قليل. الريح باردة سريعة، وأنا لم أفكر بشيء لأن المطر كان قوياً وأردت أن أصل لأنزع عني هذه الملابس المبتلة وأتناول الطعام وأنام. المطر قوي ولوقعه ضجيج يصيبني بالضجر، وقد يدفعني للتفكير في الموت لو استمر. انعطفت يميناً وكادت قدمي تنزلق، بل انزلقت ولم أقع ولا أدري لماذا شعرت بالإهانة. لم أعرف هذا الشارع الذي أنا فيه، نظفت قدمي ممّا علق بها، ورقة لاصقة بيضاء. مشيت حذراً، أمامي حاوية لنفايات الحي رائحتها زرنيخية، وشعرت برضى لأني لم أرَ أحداً. انعطفت ومشيت مسرعاً ثم جريت حتى مدخل عمارة. الأرض رطبة والمصعد ذو الباب الضيق لا يعمل. سمعت صوت بكاء طفل وصوت المطر الذي اشتدّ مجدداً، على السلم أتوقف لأرتاح قليلاً وأنظر للأعلى، المعطف ثقيل وأنا ضجر. في الطابق الخامس أو الرابع شقة، طرقت الباب، باب خشبي ظلّي

بدهان أخضر قاتم. طرقت مرة أخرى. فتح البابَ رجلٌ(5) شبه نائم، قلت له وقبضة يدي مستعدة: لماذا ضربتَ المرأة على السلم؟ قال لي بخمول: لم أضرب امرأة على السلم. ثم استدرك وقال: هل أنت بوليس؟ وما عليك لو ضربت امرأة؟ قلت له: أنا إنسان حديث ولا يحق لك أن تسبّب الضرر لأحد ما. أمسك المعطف المبتل: أنت مريض تائه، انصرف وإلّا طلبتُ لك البوليس. من تحت ذراعه رأيت ظلال رجل عجوز نائم على كرسي، ظلاله على الجدار تشبه ... دفعني ولم أقل شيئاً، وأشار بحاجبيه ويده وأغلق الباب، سمعته يُكلم شخصاً ما، ولما سمعته يقول البوليس تذكرت أشياءً مريرة، لذلك لم أضربه بقبضة يدي المستعدة، وقلت لعلّ المرأة سعيدة لأنه لم يطردها في الشارع تحت المطر الذي اشتدّ الآن. نزلتُ السلم دون أن أتوقف أو أنظر للأسفل. أردتُ أن أقول بصوت جهوري: اقتل المرأة. لأني غضبتُ من تلك المرأة، لم أقل شيئاً ونزلت بسرعة -ظنّ أنه سمع صوت منبه سيارة البوليس- انتظرتُ في مدخل العمارة، كان المطر غزيراً في الشارع. خمّنت أن المطر لن يتوقف وخرجت. كان المطر غزيراً وهجست أن أحداً ما أراد أن ينتقم مني. مشيت دون أن أنظر إلى البنايات الخائبة، المطر الغزير يجعل الأشياء تبدو غير واضحة. حاولت أن أتذكر الطريق، ثم دخلت في زقاق قذر. في الأزقة القذرة تكون القطط أقوى لأنها تعرف هذه الأزقة، ولذلك أسرعت، وخرجت إلى شارع عريض، ما من إضاءة إلا في مداخل بعض البنايات المتباعدة، خَطَر لي أن أندسّ تحت سيارة من هذه السيارات النائمة لأتقي المطر الغزير والريح الباردة، إلا أن هذا مؤلم، وقد تنحشر رأسي في مروحة السيارة، وستكون إهانة لي لو رآني أحدٌ وأنا أخرج من تحت السيارة مثل قطة جائعة، وربما يجدني صاحب السيارة ويظن أنه وجد سارقاً فيطلب البوليس. وقفَ أمامي سور حجري قديم، لولا المطر الغزير لكنت رأيته من بعيد ورجعت. نظرت إلى السور ثم نظرت للطريق ولم أدرِ كيف وصلت إلى هنا، تسلّقت السور ومشيت. الشارع مظلم والمطر غزير، توقفت ونظرت للسماء. الريح الباردة تؤذي الأذنين. شعرتُ ببعض الخفة تحت المطر لأني استطعت أن أتجاوز عقبة ما. عدتُ للسور وقلت في نفسي إن تسلقه سهل، أضع قدمي هنا ثم أمسك بيدي وأرفع جسمي بقوة عضلات الذراعين. تسلقته ومشيت، نسيت إلى أين كنت أريد أن أصل، كنت

أقصد مكاناً به ملابس نظيفة، لكني لم أعد أتذكر أين هي الملابس النظيفة، لذلك قلت سأمشي في أي طريق ولن أسمح لشيء أن يعطلني، حتى لو هجم علي كلب شرس يحرس مدخل العمارة فلن أتوقف. وأعجبني من نفسي هذا الإخلاص ، وأردت أن أجري في كل الشوارع وأن أدخل كل البنايات، لكني خجلت أن يراني أحد من النافذة، وحينما أكلمه لا ينتبه لوجودي. لم أجرِ بل مشيت بسرعة، انعطفت يميناً ثم توقفت ونظرت. مررت ببناية لها نوافذ، المطر قوي وأنا أمشي. في آخر الشارع انعكست ظلال قطة تخرج من حاوية نفايات، حاوية ظننت أني قد مررت بها من قبل. مشيت بالطول وبالعرض حتى وصلت إلى غابة مظلمة؛ أشجارها كانت في الأصل غرباناً تريد أن تنقض. لعلها مقبرة أو مبنى حكومي جعلني المطر الغزير أراه غابة. قلت في نفسي لن أجد هنا ملابس نظيفة، ودخلت الغابة لأتقي المطر الغزير. وقفت تحت الأغصان والأوراق الكبيرة. كانت الأرض موحلة، لكنّ المطر لا يبلل رأسي ولا ياقة المعطف، جلست وقررت أن أنام هنا وفي الصباح سوف يتوقف المطر، وحينما يتوقف المطر سوف أعرف إلى أين كنت أريد أن أصل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القصص القصيرة جداً

لماذا يظن الجندي غير المجنون أنه كلب؟

قال لي صديقي شفِيك الذي كتب عنه ياروسلاف هاتشيك في رواية الجندي الطيب شفِيك، وهو بالمناسبة جندي طيب للغاية ومتسامح، وقد تظنه أبله إن لم تعرفه من قبل. قال لي إنه في الحرب العالمية الأولى عندما كان يخدم في الفوج الواحد والتسعين، كان إذا مرض أحد الجند - وهذا يحدث كثيراً - سواء أكان يعاني التهابات صدرية، أم مصاباً بعدوى الحمى النمشية أم كان ممن لديهم مشاكل معوية أم من أصيبوا بشظايا أو تعرضوا لغاز الخردل، أم من يعانون انهياراً عقلياً، كل هؤلاء المرضى يتعهد معالجتهم ومراقبة حالاتهم طبيب بيطري. شفِيك قال ذلك. وربما - وهذا لم يقله بل أتخيله أنا - كان الطبيب البيطري يطلب من الجندي المريض أن ينبح ليتأكد من التنفس أو شيء ما، كما يطلب الطبيب البشري من المريض أن يسعل في بعض المرات، لا أدري، لست طبيباً على أي حال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأفكار الموحشة التي يستثيرها الانهماك في العمل على برنامج الأكسل

عندما كان يأكل المعكرونة ويراقب لوحات السيارات التي تمر من أمام المطعم فكر وبلا سبب حقيقي في أن وجوده يتمثل بوظيفته في شركة بدجت لتأجير السيارات. في بعض المرات القديمة بعدما ينتهي من مكالمة أمه على هاتف المنزل، يفكر في أنه ابن لسيدة رحيمة، ويقول لنفسه: علي تدبر أموري في هذا الشهر لأشتري لها غسالة الأواني التي تتمنى. لكن عندما يقرأ المقاطع الشعرية التي كتبها على الفيس بوك ينسى هذا كله ويقول: أنا موجود لأكون فناناً منزعجاً وكئيباً، وعلي أن أترك العمل في بدجت وأشتغل بالفن، أو على الأقل أعمل في مجال قريب، أعمل محرراً في مجلة أدبية. في المساء كان صوت الرعد عالياً، أكل قطعة بيتزا باردة، وشاهد مباراة كرة قدم معادة حتى نعس، وما زال أمامه عمل كثير على برنامج الأكسل، فكر حينها أنه ليس سوى تلك الأوساخ العالقة على شارب الصرصار الذي يمر أمامه الآن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قتال حاد حول موضوع غير محدد

البارحة حلمت حلماً مفزع، كانت الريح قوية وأقدامنا تنغرس في الثلج، كنا نمشي بتعب وخوف، مَسوقين إلى معتقلات النازية، إلا أنه لم يكن هناك نازيون، كانت تقتادنا حيوانات مسلحة. مجموعات لا نهائية من البشر نمشي بطوابير لا نهائية أيضاً. رأيت حيوانات كثيرة مسلحة عند نقاط العبور داخل الأحياء السكنية، وحيوانات أخرى تحرس طوابيرنا. كان بعضهم يبصق علينا، وقال بعضهم: بشر ملاعين. كان يمشي بجواري كلب يرتدي الزي العسكري ويتسلح برشاش mp 40. لما قلت له: إلى أين تقتادوننا، لو سمحت؟ ركلني على ساقي وتعثرت، لم يهتم أحد، الجميع يمشون بخضوع وصمت. استيقظت قبل أن نصل إلى المعتقل، رأيت كلبي الوديع رابضاً بجوار السرير، شعرت تجاهه ببغض. ولما نظرت في عينيه أبصرت غموضاً مريباً، لم أحتمل، انقضضت عليه بلا وعي وضربته بساق الأباجورة المعدنية وأنا أصرخ به: تريدون أن تقتادونا إلى المعسكرات ها؟ حتى لما سقط ميتاً لم أتوقف، جثمت فوقه وواصلت الضرب على رأسه بكل قوة ممكنة، وبكل عمى بصيرة.

ذكريات الطريق

لما انتهى القتال في معركة مطار بغداد، وتوقف القصف الوحشي بالقنابل العنقودية والقنابل النيترونية والقنابل الحارقة وتلك القنابل الغريبة التي تقذفها B 52، كان حسّون - وهو مدرس لغة عربية تطوع للقتال في العراق - حزيناً يائساً وهو يقاتل في معارك الأعظمية. كان حزيناً ويائساً لأنه عرف أن الذي ينجو من ذلك القصف الحيواني لن يكون شهيداً أبداً. ودار في ذهنه أنه سوف يموت صابراً منتظراً في فراشه، مثل تلك الحمير النافقة المنتفخة التي صادفها على الطريق بين إربد وعمان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعمال

تعتقد الأم أن ابنها يقوم بعمل إنساني عظيم، حتى إنها بالغت مرة وسألته على الغداء عن عدد المرضى الذين أنقذ حياتهم. العمة التي ترجو أن يتزوج ابنتها تظنه يقضي وقت العمل في ممرات المستشفى يبحث عن خطيبة مناسبة. الأب شك في ماله، قال: إنه لا يلتزم بكامل وقت العمل. أما هو فيقضي وقت العمل في مكتب إداري معزول في الطابق الثالث، يبعث بعض الرسائل البريدية، ويقرأ الكتب التي يجلبها معه ، وبين حين وآخر يخرج ليدخن في سُلّم الطوارئ المطلّ على البحر، وبصمت يتأمل هدوء البحر وزرقته الأبدية.

تأثير الجثة الصغيرة على يودميلا أوسراتوفا

عندما حاصر النازيون لينينغراد، كانت عائلة يودميلا أوسراتوفا محاصرة هي أيضاً. ويودميلا هذه فتاة صغيرة، لم تتجاوز الثالثة عشرة حينما توفي أخوها الصغير يوريك بسبب الجوع، طلب منها أن تنقل جثته الصغيرة الناعمة على مزلاج تجره خلفها للحفرة التي خصصت لدفن الموتى، دفناً جماعياً. لما وصلت تلك الحفرة رأت شاحنة كبيرة عليها أكوام من الجثث تُلقى في الحفرة، وقفت يودميلا تنتظر حتى ينتهوا. لما طال انتظارها سألتها إحدى المتطوعات في أعمال الدفن: أيتها الفتاة لماذا تقفين هنا؟ أجابتها يودميلا: أنا أنتظر حتى تمتلئ الحفرة، لأضع أخي في الأعلى، حتى لا يكون الحمل ثقيلاً عليه. هذه ليست قصة من اختلاقي، لقد سمعتها من يودميلا نفسها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عائلة .. عائلة .. العائلة

عندما احتاجت الأسرة المال، فكر الأب في بيع مجوهرات الأم القليلة. كذلك فكر الأبناء. لكن الأم لم تفكر في بيع سيارة الأب، ولم تفكر في بيع ألعاب الأبناء. لم تقل للأب: توقف عن شراء السجائر. لم تقل له: أنت تضيع المال في السهر. الأم مثلهم فكرت ببيع مجوهراتها القليلة، جالسةً على طاولة الطعام، تنظر إلى يدها بصمت، فكرت أنها لن تجد في المرة القادمة مجوهراتها القليلة لتبيعها مجدداً.

المهارة التي أظهرها حارس المرمى

في المباراة الوحيدة التي انتصر فيها المنتخب المصري على منتخب إيطاليا، منتخب إيطاليا الذي يلعب له بوفون ودي روسي وبيرلو، أجل بيرلو. المنتخب الإيطالي الذي كان حينها بطل كأس العالم. في تلك المباراة التي وقفت فيها الكرة على خط مرمى الحضري بصدف غريبة. في تلك المباراة التي انتصر فيها المنتخب المصري بهدف سجله حُمَص - اسمه حمص - هدفه الأول والأخير. في تلك المباراة الوحيدة التي انتهت بانتصار مصر، بعد سيل من الفرص الإيطالية الضائعة. في تلك المباراة التي قال بها لوكا توني كلاماً يحتج به على الله بعد أن أهدر فرصة سانحة. في تلك المباراة تحديداً كان السيد حسن شحاته مدرب منتخب مصر، يقف بجوار دكة الاحتياط. في تلك المباراة التي انتصر فيها منتخب مصر للمرة الأولى والأخيرة، كان حسن شحاته يهتز ويطوح برأسه ويتعرق كما لو كان هو الذي يلعب. في تلك المباراة كان شحاته حينما تقترب الكرة من مرمى المنتخب المصري ويستشعر الخطر، يقول وهو يهتز بلهجة مصرية مثل لهجة أرملة من عزبة النخل: يا سِيدنا يا رسول الله .. يا ربي يا حبيبي .. يا سِيدنا النبي. ويقبض يديه بشدة ويفتح عينيه مترقباً، حتى تمضي الكرة بعيداً عن مرمى الحضري، تمضي بعيداً جداً.

ملاك

انظر، هذه صورة ملاك، ابنة الجيران قبل أكثر من سبع سنوات تقريباً. لاجئون عراقيون. سكنوا جوارنا بعد إغلاق مخيم رفحاء. انظر لعينيها الجميلتين. ومسح بيده على وجه الفتاة في الصورة. «ملوتشه» هكذا تقول لنا دائماً، بعد أن نخطئ نطق اسمها ونقول: ملاك، ترد بلهجة عراقية صارمة : آني اسمي ملوتشه مو ملاك. عمري ست سنوات وترفع خمسة أصابع إشارة لسنواتها الست. على صغر سنها إلا أنها كانت متقدة الذكاء، مهذبة. حينما تطلب من أمي الطعام تقول : خالة أريد تمن .. خالة أريد خاشوقة. تقضي ساعات النهار عندنا، وساعات من الليل أيضاً. تحب أن نتنبه لها ونسمع حديثها، تعليقات بريئة ومضحكة، تحكي عن مللها من مجالس العزاء وتقول وهي تهتز جالسة: أريد أرقص ما أريد أبتشي. تضحك كثيراً وتضحكنا. بعد تلك الأيام الطيبة، أخبروها عن قرب رحيلهم إلى العراق، لم تدرك حقيقة هذا الأمر حتى فهمت أن بيتنا لن يكون البيت المجاور لبيتهم في العراق، ولن تزورنا كل يوم، ولن أمشي على أربع وهي على ظهري. جاءتنا مرة منزعجة، وطلبت من أمي أن نذهب معهم، قالت: ما نعوفكم. توددت أمي إليها وأخبرتها أن ذلك غير ممكن. ودّعناها بوعود كاذبة: سوف نزوركم في العراق. بعد أن رحلوا انقطعت أخبارهم، حتى جاء اتصال على الهاتف الأرضي ظهيرة يوم بهيج: آني ملوتشه أخابركم من سامراء، بصوت يملؤه الضحك. تكلمنا معها كثيراً. تكررت اتصالاتها السعيدة حتى انتقلنا من بيتنا، وتركنا رقم الهاتف للساكن الذي اشترى البيت، أو أن أبي ألغى الرقم، لا أتذكر. فكرث اليوم - وأنا أرى صورتها - في عدد المرات التي اتصلت فيها ملوتشه على الرقم القديم ولم يجبها أحد، ولم تقل بصوت ضاحك: آني ملوتشه أخابركم من سامراء.

كلاب الأيام الحديثة

كلب، أنا كلب، إلا أنني لست من تلك الكلاب التي تتجهم وتنبح في وجه الغريب. أو تلك الشرسة التي تعمل مع رجال الشرطة في الأفلام. أو تلك الكلاب قليلة الذوق التي تريد أن تتشرد وتنبح بمرح. أنا من تلك الكلاب المترددة، من تلك الكلاب التي تخاف أن تنبح، من تلك الكلاب التي تفكر في العواقب، أنا من تلك الكلاب التي إن دخلت الحظيرة نقرتها الدجاجات.

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انقطاعات الضحك

في تلك الأيام كنت ألاعب الأطفال وأقلد لهم صوت الذئب بطريقة رديئة، ثم أهجم عليهم وهم يتقافزون من حولي ضاحكين وأعينهم الصغيرة تتلامع مثل خراف حقيقية. ومنذ أن صرت موظفاً حكومياً أتقاضى مرتباً شهرياً صرت أتأمل كثيراً وأصمت، كما لو أن الذئب قد مات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لون برادة الحديد

في زمان بعيد، في أيام الطفولة، كانت أنابيب التابلاين ترافقنا على طول الطريق. هذه الأنابيب الحمراء الصدئة صديقة الرحلات البرية، في الأماكن التي تقترب فيها من الأرض نتنافس في القفز من فوقها، وفي الأماكن التي ترتفع فيها عن الأرض نتنافس في المشي عليها، نرميها بالأحجار، نجلس عليها كما يجلس فارس على خيله، نمسح بأيدينا عليها ليس طلباً للبركة بالطبع، ولكن لنأخذ منها اللون الأحمر، لون برادة الحديد الصدئ، نلصق آذاننا بها لنتوهم صوت تدفق النفط الذي توقف ضخه. في مرة أخبرتني أمي أن الأنابيب تمتد طويلاً حتى تنتهي في لبنان. كانت هذه الفكرة غريبة، لبنان، أين لبنان؟ منذ تلك اللحظة صرت إذا توقفنا لنعلب على أنابيب التابلاين، آخذ حجراً متوسطاً وأبتعد حتى تنقطع عني أصوات العائلة، ثم أطرق بكل قوتي حديد أنبوب التابلاين طرقتين أو ثلاثاً متتاليات، وألصق أذني بالحديد أنتظر سماع الرد الذي ربما يأتيني من صبي في لبنان البعيدة. لا يأتي أي رد، أسمع طنين طرقاتي، ويكتسب خدي اللون الأحمر، لون برادة الحديد.

Telegram:@mbooks90

الذي يحرس عنّا المرمى

أمي لا تعرف الكثير عن كرة القدم، لكنها إذا علمت أن المنتخب يلعب مباراة تسألني عن محمد الدعيّع، أيلعب معهم أم لا؟ حتى تدعو لهم. تقول: أشفق عليه، لأن بنيته ضعيفة ولا أحب له أن يخسر -تظن أنه لا يأكل جيداً- أمي لا تعرف أن هذا الفتى بقفازين وبنية ضعيفة أوقف فرانك ريكارد وديفيس بيركامب. هذا الفتى يا أمي بشجاعة الحائلي وعفويته كان يقول للفريق: اهجموا واتركوا المرمى عليّ. وكانوا يفعلون، يتركون المرمى عليه وحده يا أمي.

---

(1) أقلّطه: كلمة عامية تعني إجلاس الضيف على المائدة المُعدّة إكرامًا له.

(2) الكبوت: طريقة فوز في لعبة البالوت، إذا حصل فريق من الفريقين على جميع النقاط الممكنة في اللعبة الواحدة يقال (كبوت).

(3) الجزء (ج) منقول كاملاً من كتاب معذبو الأرض - فرانتز فانون.

(4) لم تكن ذئباً بريأ ولم تكن ذئباً محبوساً في حديقة الحيوانات، بل كانت في الأصل حيواناً داجناً. كانت غاضبة منذ أيام بعيدة لأنها تتذكر الأشياء التي تؤلم روحها، ثم قالت: لقد جعلتني الأسرة حيواناً داجناً. تتذكر أن الأم قالت لها: سوف أقطع رجليك. وقربت السكين -التي تقطع الليمون الأصفر- من فخذها لتخيفها. تبوّلت مرة أخرى في فراشها ولم تنفذ الأم وعيدها. حينما ولدث ابتهج الأب، وعلّقت العمة البالونات وأوراق الزينة الملونة، حملتها الأم وصورهما الأب بكاميرا فيلمية. ظفّرت الأم شعرها ودخلت المدرسة، درست بجد، وكبرت ودخنت مثل شاب يحاول لفت انتباه فتاة، وضعت مساحيق التجميل، وأحبّت فتاة جميلة، ثم أحبت ملمس الجلد الناعم، تكلمت في تلك الأيام كلاماً كثيراً وقالت إن الأب صلب. لذلك فكرت في الهجرة. ظنّت أنها إن غيّرت المكان فسوف تتغير طبيعة العالم، مشت بقلق وحيرة وخرجت في بعض المظاهرات، إلى أن أحست من نفسها ثقة ورأت أنها صارت ذئباً بريأ، وقع لها حادث أليم، في زقاق ضيق قذر تكون فيه القطط قوية، وأثناء هطول المطر الغزير تحرش بها -لست متأكداً إن كان اغتصبها أم لا- رجل نحيل يمشي وهو مستعد لسرقة أي شيء. جعلتها هذه الحادثة تمر بنوبات رعب غامضة، ورأت أنها صارت حيواناً داجناً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(5) هذا رجل بائس، لم يؤذ أحداً ما، لكن الناس يطرقون باب شقته في وقت متأخر ويقولون له: لماذا فعلت كذا؟ في تلك الليلة جاء شخص غريب وطرق باب شقته وقال له: لماذا قتلت المرأة على السلم؟ وهو لم يقتل زوجته على السلم، بل لم يقتلها أصلاً. لقد ماتت على الطريق، ماتت في يوم من أيام الحياة الطبيعية، كان يقود السيارة مسافراً من مدينة إلى أخرى، لم يصادف في الطريق حيوانات برية، ولم يكن الطريق زلقاً بسبب المطر، وإطارات السيارة جديدة والشمس مشرقة، لكن السيارة انقلبت. كان يسير بسرعة ويستمع للإذاعة، الزوجة قالت له إن الطفلة جائعة، لكنه لم يسمع جائعة لأنه عطس عطسة قوية سببت له الصداع، انحرفت معها السيارة عن الطريق وانقلبت. لعلّ يده خبطت بمقود السيارة، لا أدري، لكن السيارة انقلبت وعجنت رأس الزوجة. ماتت الزوجة والطفلة الجائعة، أما هو فخرج من السيارة المقلوبة بصعوبة، خرج مشوشاً ووقف ينفض ملابسه. أجد أن هذه ميته كوميدية بائسة، تناسب حياة رجل يطرق الناس باب شقته لأسباب غريبة. حاولت أن أعرف هل كُتب في شهادة الوفاة، سبب الوفاة: عطسة الزوج أم كُتب: توقفٌ في الدورة الدموية وتلك الأشياء الطبية. لكني لم أفلح في الوصول إلى شيء. ربما في يوم ما أطرق أنا أيضاً باب شقته في وقت متأخر وأسأله عن شهادة وفاة الزوجة.

٢٧٠٧٢٣٩٠٦٥
CamScanner المسوحة ضوئيا بـ